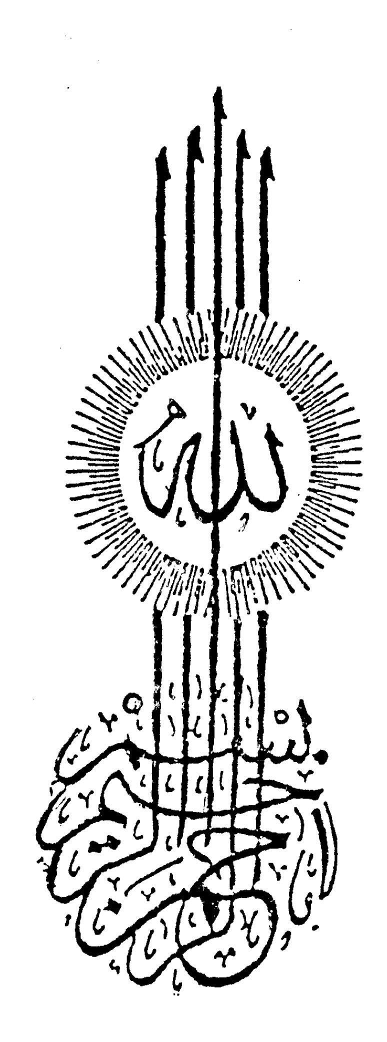
الثقافة الإسلامية لكاتب الإنشاء

كما تبدو فى صبح الأعشى

دكتور
محمود سعد
أستاذ الدراسات الإسلامية
كلية الآداب - جامعة بنها


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

« تمهيـــد »

إن الحمد لله وحده لا شريك له ، علم الإنسان مالم يعلم ، سبحانه لا إله إلا هو خلق الإنسان ، وفضله على كثير من خلقه ، قال عز شأنه : « لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم »(١) .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ...

وبعد ،،

فإن كتاب « صبح الأعشى فى صناعة الانشا » للقلقشندى يعتبر من عيون التراث العربى . وهو ينتظم كثيرا من المعارف المختلفة فى فنونها المتنوعة ، وهو من ثمار تلك العقلية المصرية المباركة التى نشأت بقرية قلقشنده(٢) بمحافظة بنها(٣) — وقد حاولت القيام بجمع بعض ما يتصل بثقافة كاتب الإنشاء من الناحية الإسلامية ، ووضعنا له عنوانا هو « الثقافة الإسلامية لكاتب الانشاء كما تبدو فى صبح الأعشى » وقد قمت بتوثيق النصوص والمباحث المتصلة بالموضوع ، والتى تتلخص فيما يلى :

---

(١) التين / ٤ .

(٢) يقول عن بلدته : « بلدتنا » قلقشنده « وهى بلدة حسنة المنظر ، غزيرة الفواكه وإليها ينسب الليث ابن سعد الإمام الكبير » .
قال ابن خلكان : « بفتح القاف وسكون اللام وفتح القاف الثانية والشين المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وبعدها هاء ساكنة » وهكذا مكتوبة فى دواوين الديار المصرية .
وأبدل ياقوت فى معجم البلدان « اللام راء » ، وهو الجارى على ألسنة العامة . صبح الأعشى جـ ٣ ص ٣٩٩ ، ومعجم البلدان جـ ٣ ص ٦٤ — هـ ٦ وفيات الأعيان جـ ٣ / ٢٨٠ .

(٣) بنها — بكسر الباء — العسل قال النووى فى شرح مسلم : بكسر الباء (بنها — والمعروف فتحها) ، وهى البلدة التى أهدى المقوقس إلى النبى ﷺ من عسلها . صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٠١ و ص ٣٨١ .
وذلك عند حديث القلقشندى عن (« كورة أتريب » حيث قال : (وأتريب) مدينة خراب « على القرب من بنها العسل .. ») .

أولا : القلقشندى ، وسبب تأليفه لكتابه صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء .

ثانيا : فضل الكتابة .

ثالثا : طريقة الكتابة (الفواتح والخواتم واللواحق) وشمل ذلك :
البسملة ــ الحمدلة ــ التشهد ــ الصلاة على النبى ﷺ ــ أما بعد ــ الافتتاح بالدعاء ــ الخواتيم .

رابعا : بعض ما يحتاج إليه كاتب الانشاء من الثقافة الاسلامية :

١ ــ حفظ القرآن الكريم .

٢ ــ حفظ السنة النبوية الشريفة .

٣ ــ معرفة حكم بعض الآلات مثل: النرد ــ الشطرنج ــ المسكرات

٤ ــ الايمان .

٥ ــ الأمان .

٦ ــ العهود .

٧ ــ الاقطاعات .

٨ ــ الوصايا الدينية .

وبعد فإنى أضرع إلى المولى عز وجل أن يجعل عملى هذا مقبولا « وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب »[1] وآخر دعوانا « أن الحمد لله رب العالمين » .

---

(١) هود/٨٨ .

أولا : « القلقشندى » ٧٥٦ هـ ـــ ٨٢١ هـ

هو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن على بن أحمد بن عبد الله القلقشندى من أصل عربى صميم من بنى بدر بن فزارة ، وكانوا قد نزلوا مصر حين الفتح وبعده .

ولد بقلقشنده ـــ سنة ست وخمسين وسبعمائة بعد الهجرة ٧٥٦ هـ وهى قرية مصرية بجوار قليوب ، فنسب إليها ، وتلقى العلم بالأزهر الشريف وهو يومئذ أكبر جامعة فى العالم كله .

واشتهر بين الناس بحدة الذكاء والفهم ، واشتغل بالفقه ـــ كان شافعى المذهب ـــ وبرع فى العربية[1] ، وكتب فى الإنشاء ، وكانت له مباشرة فى ديوان الأحباش ، وناب عن القاضى جلال الدين البلقينى بسفارة مسطرد[2] وعمل صبح الأعشى فى صناعة الانشا[3] **ومن مؤلفاته أيضا** :

- كتاب « ضوء الصبح المسفر وجنى الروح المثمر » وهو مختصر صبح الأعشى طبع الجزء الأول فيه فى مطبعة الواعظ بالقاهرة سنة ١٣٢٤ هـ ـــ ١٩٠٦ م .
- وكتاب « نهاية الأرب فى معرفة قبائل العرب » فى الأنساب .
- وحيلة الفضل وزينة الكرم فى المنافرة بين السيف والقلم .
- وكتاب « الغيوث الهوامع فى شرح جامع المختصرات ومختصرات الجوامع » فى علم الفقه على مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه .
- وكتاب « قلائد الجمان فى قبائل العربان » فى أنساب العرب أيضا[4] .

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة لابن تغرى برى حـ ٦ / ٤٦٠ (طبع أوربا) .

(٢) عقد الجمان للمؤرخ العينى المجلد ٦٨ ص ٤٧٠ من النسخة المصورة المخفوظة بدار الكتب .

(٣) شذرات الذهب حـ ٧ / ١٤٩ ، كشف الظنون من أسامى الكتب والفنون خاجى خليفة حـ ١ / ١٨٢ .

(٤) معجم المؤلفين ـــ عمر رضا كحالة حـ ١ / ٣١٧ .

وكانت وفاته ـــ رحمه الله عليه ـــ سنة احدى وعشرين وثمنائة بعد الهجرة ٨٢١ هـ .

« سبب تأليفه لكتاب صبح الأعشى فى صناعة الانشا »

يعد كتاب « صبح الأعشى فى صناعة الانشا » للقلقشندى من أجمع الموسوعات الأدبية والتاريخية للأمة العربية منذ أن عرفت التدوين إلى منتصف القرن التاسع الهجرى ، وهو كتاب ضخم، جم الفائدة ، يقع فى عدة مجلدات ، وقد رتبه مؤلفه على مقدمة وعشر مقالات وخاتمة ، وقال فى سبب تأليفه « كنت فى حدود سنة احدى وتسعين وسبعمائة قد أنشأت مقامة بنيتها على أنه لابد للانسان من حرفة يتعلق بها ومعيشة يتمسك بها ، وأن الكتابة هى الصناعة التى لا يليق بطالب العلم من المكاسب سواها ، ولا يجوز له العدول عنها إلى ماسواها ، وجنحت فيها إلى تفضيل كتابة الإنشاء وترجيحها وتقديمها على كتابة الأموال وترشيحها ، ونبهت فيها إلى مايحتاج إليه كاتب الإنشاء من المواد ، وما ينبغى أن يسلكه من الجوار ، وضمنتها من أصول الصنعة ما رأيت به على المطولات وزادت ، وأودعتها من قوانين الكتابة ما استولت به على جميع مقاصدها أو كادت ، إلا أنها قد وقعت موقع الوحى والإشارة ، ومالت إلى الإيجاز فأكتفت بالتلويح عن واسع العبارة ، ففر بذلك مطلبها ، وفات على المجتنى ببعد التناول أطيبها ، فأشار من رأيه مقرون بالصواب أن أتبعها بمنصف مبسوط فأمتثلت أمره وشرعت فى ذلك بعد أن أستخرجت الله تعالى « وما خاب من استخار » وراجعت أهل المشورة « وما ندم من استشار » ـــ وسميت كتابى « صبح الأعشى فى صناعة الانشا »[1] .

(١) صبح الأعشى فى صناعة الإنشا جـ ١ المقدمة ص ٨ ـــ ١٠ بتصرف .

ثانياً : فضل الكتابة

تحدث القلقشندى عن فضل الكتابة ــ فى المقدمة ــ ورأى أن « أعظم شاهد لجليل قدرها وأقوى دليل على رفعة شأنها أن الله تعالى نسب تعليمها إلى نفسه ، وأعتمده من وافر كرمه وأفضاله ، فقال تعالى « اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم »(1) مع مايروى أن هذه الآية(2) والتى قبلها مفتتح الوحى ، وأول التنزيل على أشرف نبى ، وأكرم مرسل ﷺ ، وفى ذلك من الاهتمام بشأنها ورفعة محلها مالا خفاء فيه .

ثم بين شرفها بأن وصف بها الحفظة الكرام من ملائكته ، فقال جلت قدرته « وأن عليكم لحافظين كراما كاتبين »(3) ولا أعلى رتبة وأبذخ شرفا مما وصف الله تعالى به ملائكته ونعت به حفظته .

ثم زاد ذلك تأكيداً ووفر محله إجلالاً وتعظيماً بأن أقسم بالقلم الذى هو آلة الكتابة وما يسطر به ، فقال تقدمت عظمته « ان والقلم وما يسطرون ماأنت بنعمة ربك بمجنون »(4) والأقسام لا يقع منه سبحانه إلا بشريف ما أبدع وكريم ما اخترع الشمس والقمر والنجوم ونحوها إلى غير ذلك من الآيات الدالة على شرفها ورفعة قدرها .

ثم كان نتيجة تفضيلها ، وأثرة تعظيمها أن الشارع ندب إلى مقصدها الأسنى ، وحث على مطلبها الأغنى ، فقال ﷺ « قيدوا العلم بالكتابة »(5) مشيرا إلى الغرض المطلوب منها ، وغايتها المجتناة من ثمرتها .

وقد أطنب السف فى مدح الكتابة والحث عليها فلم يتركوا شأوا لمادح

(1) ، (2) العلق/ ٣ ــ ٥ .
(3) الانفطار/ ١٠ ــ ١١ .
(4) القلم/ ١ ــ ٢ .
(5) أحرم الحاكم فى المستدرك ط/ ١٠٦ ومجمع الزوائد حـ ١/ ١٥٢ كشف الخلفاء هـ ١/ ١٣٠ ، القرطبى حـ ١١ ، ٢٠٦ .

حتى قال سعيد بن العاص « من لم يكتب فيمينه يسرى » وقال معن بن زائدة « إذا لم تكتب اليد فى رجل » وبالغ مكحول فقال « لادية ليد لا تكتب »[1].

وقد ذكر علماء التاريخ أن يوسف عليه السلام كان يكتب للعزيز، وهارون ويوشع بن نون كانا يكتبان لموسى عليه السلام، وسليمان بن داود كان يكتب لأبيه، واصف بن برخيا ويوسف بن عنقا كانا يكتبان لسليمان عليه السلام ويحيى بن زكريا كان يكتب للمسيح عليه السلام[2].

ما السبب فى تحريم الكتابة على النبى ﷺ :

إن فضل الكتابة أكثر من أن يحصى وأجل من أن يستقصى، وإنما حرمت الكتابة على النبى ﷺ ردا على الملحدين حيث نسبوه إلى الاقتباس من كتب المتقدمين كما أخبر تعالى قوله « وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا »[3] وأكد ذلك بقوله « وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون »[4].

وقد كان النبى ﷺ يأتى من القصص والأخبار الماضية من غير مدارسة ولا نظر فى كتاب بما لا يعلمه إلا نبى، كما روى أن قريشا بمكة وجهت إلى اليهود أن عرفونا شيئا نسأله عنه، فبعثوا إليهم أن سألوه عن أنبياء أخذوا أحدهم فرموه فى بئر وباعوه، فسألوه فنزلت سورة يوسف جملة واحدة بما عندهم فى التوراة وزيادة.

والأمية فى رسول الله ﷺ فضيلة وفى غيره نقيصة لأن الله تعالى لم يعلمه الكتابة لتمكن الإنسان بها من الحيلة فى تأليف الكلام واستنباط المعانى فيتوسل الكفار إلى أن يقولوا أقتدر بها على ماجاء به. وذلك أن الانسان يتوصل بها إلى تأليف الكلام المنثور وإخراجه فى الصور التى تأخذ بمجامع القلوب، فكان

(١) صبح الأعشى حـ ١ : ٣٥ — ٣٧.
(٢) السابق حـ ١/ ٣٩.
(٣) الفرقان ٥.
(٤) العنكبوت ٤٨.

عدم علمه بها من أقوى الحجج على تكذيب معانيه ، وحسم أسباب الشك فيه[1] .

وعلى هذا فإن الأمية فى النبى ﷺ فضيلة وفى غيره نقيصة ، هذا وأختلف فى أنه ﷺ هل كان بعد النبوة يقرأ ويكتب أم لا ؟

فقيل : أنه ﷺ لم يكن يحسن الكتابة للآية الكريمة السابقة « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون » . فرسول الله ﷺ عاش بينهم فترة طويلة من حياته لا يقرأ ولا يكتب ، ثم جاءهم بهذا الكتاب العجيب الذى يعجز القارئين والكاتبين ، ولربما كانت تكون لهم شبهة لو أنه كان من قبل قارئا كاتبا فما شبهتهم وهذا ماضيه بينهم .

قال مجاهد وكان أهل الكتاب يجدون فى كتبهم أن محمدا ﷺ لا يخط ولا يقرأ فنزلت هذه الآية . وهذا من أعظم الأدلة على نبوته لأنه لا يقرأ ولا يكتب ولا يخالط أهل الكتاب ، فجاءهم بأخبار الأنبياء والأمم وزالت الريبة والشك[2] .

وقال أبو حيان التوحيدى « وأكثر المسلمين على أن رسول ﷺ لم يكتب قط ، ولم يقرأ بالنظر فى كتاب »[3] .

وادعى بعضهم أنه ﷺ صار يعلم الكتابة بعد أن كان لا يعلمها وعدم معرفتها بسبب المعجزة لهذه الآية ، فلما نزل القرآن الكريم واشتهر الاسلام ، وظهر أمر الارتياب تعرف الكتابة حينئذ وروى ابن أبى شيبة وغيره « مامات النبى ﷺ حتى كتب وقرأ »[4] .

(١) صبح الأعشى حـ ١ ، ٢ ، ٤ ـــ ٣ ٤ ـــ معرفة النبى ﷺ بالكتابة .

(٢) أحكام القرآن للقرطبى حـ ١٣ / ٣٥١ وروح المعانى للألوسى المجلد السابع حـ ٢١ ص ٤ .

(٣) البحر المحيط حـ ٧ / ١٥٥ .

(٤) السابق حـ ٧ / ١٥٥ وفتح البارى بشرح صحيح البخارى حـ ٧ / ٥٠٤ د والحديث موضوع رواه أبو العباس الأصم فى حديثه والطبرانى من طريق أبى عقيل الثقفى عن مجاهد ، حدثنى عون بن عبد الله ابن عتبه عن أبيه قال .. فذكره قال الطبرانى : « هذا حديث منكر ، و [illegible] عقيل =

ونقل هذا للشعبى فصدقه وقال وسمعت أقواما يقولونه وليس فى الآية ماينافيه وروى ابن ماجه عن أنس رضى الله عنه قال « قال ﷺ : رأيت ليلة أسرى بى مكتوبا على باب الجنة الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر » والقدرة على القراءة فرع الكتابة .

ووقع فى صحيح مسلم من حديث البراء فى صلح الحديبية أن النبى ﷺ قال لعلى « أكتب الشرط بيننا بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله » فقال له المشركون : لو نعلم أنك رسول الله تابعناك — وفى رواية بايعناك — ولكن أكتب محمد بن عبد الله . فأمر عليا أن يمحوها فقال على : والله لا أمحاها ، فقال ﷺ « أرنى مكانها فأراه مكانها فمحاها وكتب ابن عبد الله »[1] . وظاهر هذا أنه ﷺ محا تلك الكلمة التى هى رسول الله — ﷺ بيده وكتب مكانها ابن عبد الله .

وقد رواه البخارى بأظهر من هذا فقال : فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب فكتب وزاد فى طريق أخرى : ولا يحسن أن يكتب[2] .

فقال جماعة بجوار هذا الظاهر عليه وأنه كتب بيده : منهم السمنانى وهو أبو عمرو الفلسطينى — وأبو ذر — هو عبد الله بن أحمد الهروى — والباجى — هو أبو الوليد — ورأوا أن ذلك غير قادح فى كونه أميا ، ولا معارض بقوله : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك » ولا بقوله : ﷺ « إنا أمة أمية لا تكتب ولا تحسب »[3] . بل رأوه زيادة فى

= ضعيف الحديث ، وهذا معارض لكتاب الله عز وجل » سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة : محمد ناصر الدين الألبانى حـ ٤ / ٣٧ — ٣٨ المكتب الاسلامى سنة ١٣٨٤ هـ / سنة ١٩٦٤م والسيوطى فى ذيل الموضوعات ص ٥ .

(١) مسلم فى كتاب الجهاد والسير ، باب صلح الحديبية وينظر مسلم بشرح النووى حـ ١٢ / ١٣٧ .

(٢) أخرجه البخارى فى المغازى والسير ، باب عمرة القضاء « البخارى حـ ٧ / ٤٠٣ — ٤٠٩ » .

(٣) أخرجه البخارى فى الصوم ، باب قول النبى ﷺ ، « لا نكتب ولا نحسب » ، وباب هل يقال رمضان أو شهر رمضان ، مسلم فى الصوم ، باب وجوب صوم رمضان برؤية الهلال ، أبو داود فى الصوم ، باب الشهر يكون تسعا وعشرون ، النسائى فى الصوم ، باب كم الشهر . الأمية : الجيل من الناس — الأمية : التى لا تكتب ولا تقرأ . وقيل هو منسوب إلى الأم أى قبضها وجمعها على أخواتها . أحكام القرآن للقرطبى حـ ١٣ / ٣٥٢ — ٣٥٣ .

معجزاته واستظهارا على صدقه وصحة رسالته ، وذلك أنه كتب من غير تعلم الكتابة ولا تعاطٍ لأسبابها ، وإنما أجرى الله تعالى على يده وقلمه حركات كانت عنها خطوط مفهومها ابن عبد الله لمن قرأها فكان ذلك خارقا للعادة ، كما أنه ﷺ علم الأولين والآخرين من غير تعلم ولا اكتساب ، فكان ذلك أبلغ فى معجزاته ، وأعظم فى فضائله ، ولا يزول عنه اسم الأمى بذلك ، ولذلك قال الرواى عنه فى هذه الحالة : ولا يحسن أن يكتب فبقى عليه اسم الأمى مع كونه قال كتب .

وقال بعض المتأخرين : من قال هى آية خارقة فيقال له : كانت تكون آية لا تنكر لولا أنها مناقضة لآية أخرى وهى كونه أميا لا يكتب ، ولكونه أميا فى أمة أمية قامت الحجة ، وأفحم الجاحدون وانحسمت الشبهة ، فكيف يطلق الله تعالى يده فيكتب وتكون آية . وانما الآية ألا يكتب ، والمعجزات يستحيل أن يدفع بعضها بعضا ، وإنما معنى كتب وأخذ القلم ، أى أمر من يكتب به من كتابة ، وكان من كتبه الوحى بين يديه ﷺ ستة وعشرون كاتبا[1] .

فإن قيل : فقد تهجى النبى ﷺ حين ذكر الدجال فقال : مكتوب بين عينيه «ك اف ر» وقلتم إن المعجزة قائمة فى كونه أميا . قال الله تعالى : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك » وقال ﷺ « إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » فكيف هذا ؟.

فالجواب مانص عليه ﷺ فى حديث حذيفة والحديث كالقرآن يفسر بعضه بعضا . ففى حديث حذيفة « يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب » فقد نص فى ذلك على غير الكاتب ممن يكون أميا ، وهذا من أوضح ما يكون جليا[2] .

---

(١) التخليص فى علوم البلاغة/٤٥ الطبعة الثانية شرح البرقوقى/١٩٣٢ وينظر التلخيص فى علوم البلاغة ص ٤٥ ــ ٤٧ الطبعة الثانية شرح البرقوقى سنة ١٩٢٣ حيث رأى أن الحديث من باب (بنى الأمير المدينة ، أى أمر أن تبنى) .

(٢) روح المعانى » المجلد السابع حـ ٢١ ص ٥ ؛ .

ويقول الألوسى : « وفى شرح صحيح مسلم للنووى عليه الرحمن نقلا عن قاضى عياض أن قوله فى الرواية التى ذكرناها : ولا يحسن يكتب فكتب فالنص فى أنه ﷺ كتب بنفسه فالعدول عنه إلى غيره مجاز لا ضرورة إليه ثم قال : وقد طال كلام كل فرقة فى هذه المسألة وشنعت كل فرقة على الأخرى فى هذا فالله تعالى أعلم » .

ورأيت فى بعض الكتب ولا أدرى الآن أى كتب هو أنه ﷺ لم يكن يقرأ ما يكتب لكن إذا نظر إلى المكتوب عرف ما فيه بأخبار الحروف اياه ﷺ عن أسمائها فكل حرف يخبره عن نفسه أنه حرف كذا وذلك نظير أخبار الذراع اياه ﷺ « بأنها مسمومة »[1] .

مما سبق ندرك أنه قد تمسك بظاهر هذه الرواية « فأخذ الكتاب — وليس يحسن أن يكتب — فكتب مكان رسول الله ﷺ : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله » جماعة من العلماء وقالوا : أن النبى ﷺ كتب بيده بعد ان لم يكن يحسن يكتب .

وقالوا : إن ذلك لا ينافى القرآن ، بل يؤخذ من مفهوم القرآن ، لأنه قيد النفل قبل ورود القرآن فقال « وما كنت تتلو من قبله كتاب ولا تخطه بيمينك » . وبعد أن تحققت أميته وتقررت بذلك معجزته وأعن الارتياب فى

---

(١) قصة الشاه المسمومة أخرجها البخارى فى الهبة ، باب قبول الهدية من المشركين مسلم فى السلام باب السم ، أبو داود فى الديات ، باب فيمن شعر سما أو أطعمه فمات أيضا ومنه ، الجميع عن أنس بن مالك رضى الله عنه .

ومجمل القول : وقال الأولون : ان ذلك باطل ، يبطله وصف الله تعالى اياه بالنبى الأمى ﷺ وقوله : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك » وقوله ﷺ « أنا أمة أمية » وقالوا وقوله فى هذا الحديث كتب — فى صلح الحديبية — معناه أمر بالكتابة كما يقال ارجم ماعزا ، وقطع السارق ، وجلد الشارب ، أى أؤمر بذلك . وأحتجوا أيضا بالرواية الأخرى فقال لعلى : أكتب محمد بن عبد الله .

وقال الآخرون : أنه لم يتل ولم يخط أى من قبل تعليمه ، كما قال الله تعالى : « من قبله » فكلما جاز أن يتلو جاز أن يكتب ولا يقترح هذا فى كونه أميا إذ ليست المعجزة بمجرد كونه أميا فإن المعجزة حاصلة بكونه ﷺ كان أولا كذلك ثم جاء بالقرآن وبعلوم لا يعلمها الأميون (مسلم بشرح النووى حـ ١٢/١٣٨) .

ذلك لا مانع من أن يعرف الكتابة بعد ذلك من غير تعليم فتكون معجزة أخرى .

وأجاب الجمهور بضعف هذه الأحاديث ، وعن قصة الحديبية بأن القصة واحدة والكاتب فيها على ، وقد صرح فى حديث بأن عليا هو الذى كتب ، فيحمل على أن فى قوله « فأخذ الكتاب وليس يحسن يكتب » لبيان أن قوله « أرنى اياها » أنه ما احتاج إلى أن يريه موضع الكلمة التى امتنع « على » من محوها إلا لكونه كان لا يحسن الكتابة ، وعلى أن قوله بعد ذلك « فكتب » فيه حذف تقديره فمحاها فأعادها لعلى فكتب .

وعلى هذا فإن اللات « كتب » بمعنى أمر بالكتابة ، وهو كثير كقوله : كتب إلى قيصر ، وكتب إلى كسرى وكما يقال : رجم ماعزا ، وقطع السارق ، وجلد الشارب ، أى أمر بذلك . وعلى تقدير حمله على ظاهره فلا يلزم من كتابه اسمه الشريف فى ذلك اليوم وهو لا يحسن الكتابة أن يصير عالما بالكتابة ويخرج عن كونه أميا ، فان كثيرا ممن لا يحسن الكتابة يعرف تصور لبعض الكلمات ويحسن وضعها بيده خصوصا الأسماء ، ولا يخرج بذلك عن كونه أميا .

ويحتمل أن يكون جرت يده بالكتابة حينئذ وهو لا يحسنها فخرج المكتوب على وفق المراد فيكون والحق أن معنى قوله « فكتب » أن أمر عليا أن يكتب[1] .

أيهما أفضل الشعر أم النثر ؟

ثم تحدث عن النثر والشعر ، ويرجح النثر عليه ورأى أن « النثر أرفع منه درجة وأعلى رتبة ، وأشرف مقاما ، وأحسن نظاما ، إذ الشعر محصور فى وزن وقافية يحتاج الشاعر معها إلى زيادة الألفاظ والتقديم فيها والتأخير ، قصر

(١) وآيات كتاب الله عز وجل صريحة أوضحت لنا أمية رسول الله ﷺ وهى :

سورة الأعراف/١٥٧ . سورة الأعراف/١٥٨ . سورة آل عمران ١٨ .

سورة الأعراف/٧٣ . سورة الجمعة/٢ مدنية . سورة البقرة/٧٨ مدنية .

الممدود ومد المقصود ، وصرف مالا ينصرف ومنع ما ينصرف من الصرف ، واستكمال الكلمة المرفوضة وتبديل اللفظة الفصيحة بغيرها ، وغير ذلك مما تلجىء إليه ضرورة الشعر فتكون معانية تابعة لألفاظه ، والكلام المنثور لا يحتاج فيه إلى شىء من ذلك ، فتكون الفاظه تابعة لمعانيه — وناهيك بالنثر فضيلة أن الله تعالى أنزل به كتابة العزيز ونوره المبين الذى « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه »[1] ولم ينزل على صفة نظم الشعر بل نزهه عنه » بقوله « وماهو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون »[2] وحرم نظمه على نبيه ﷺ تشريفا لمحله وتنزيها لمقامه منبها على ذلك بقوله « وما علمناه الشعر وما ينبغى »[3] وذلك أن مقاصد الشعر لا تخلو من الكذب والتحويل على الأمور المستحيلة ، والصفات المجاوزة للحد ، والنعوت الخارقة عن العادة وقذف المحصنات ، وشهادة الزور ، وقول البهتان ، وسب الأعراض وغير ذلك مما يجب التنزه عنه لآحاد الناس فكيف بالنبى ﷺ ولا سيما الشعر الجاهلى الذى هو أقوى الشعر وأفحله ، بخلاف النثر فإن المقصود الأعظم منه الخطب والترسل ، وكلاهما شريف الموضوع حسن التعليق ، إذ الخطب كلام مبنى على حمد الله تعالى وتمجيده وتقديسه وتوحيده والثناء عليه والصلاة على رسوله ﷺ ، والتذكير والترغيب فى الآخرة والتزهيد فى الدنيا والحض على طلب الثواب والأمر بالإصلاح والإصلاح ، والحث على التعاضد والتعاطف .. وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى مما هو مستحسن شرعا وعقلا وحسبك ترتبه قام بها النبى ﷺ والخلفاء الراشدون من بعده ...[4].

---

(١) فصلت/٤٢ .
(٢) الحاقة/٤١ .
(٣) يس/٦٩ .
(٤) صبح الأعشى حـ ١/٥٩ — ٦٠ .

ثالثا : طريقة الكتابة :

تحدث القلقشندى عن الفواتح والخواتم واللواحق ـــ أو ما يمكن تسميته بطريقة الكتابة ،ـــ عن : البسملة ، والحمد له ، والتشهد ، والصلاة على النبى ﷺ ، والسلام ، وأما بعد ، والخواتم . وسوف أشير إلى ذلك فيما يلى :

١ ـــ البسملة الشريفة :

تحدث القلقشندى عن البسملة الشريفة ، وكيفية كتابتها ، ورأى أنه « من شأنها أن تكتب فى أول كل ولاية لها شأن » ، عملا بقوله ﷺ : « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجزم[١] »[٢] .

ثم أوضح محلها من كتب الولايات حيث قال : « ومحلها من كتب الولايات فى أول الوصل الرابع بعد أوصال البياض ، أما لا بال له من كتب الولايات : كالتواقيع التى على ظهور القصص ، وما هو منها على صورة أوراق الطريق ، فقد جرى الاصطلاح على أنه لا يكتب فى أولها البسملة أصلا ، بل تفتح بـ « رسم بالأمر الشريف » وقد كان القاضى علاء الدين على الكركى حين ولى كتابه السر الشريف للديار المصرية فى أول سلطنة الظاهر برقوق الثانية أمر أن تكتب فى أول هذه التواقيع بسملة لطيفة المقدار ، طلبا للتبرك ، ثم ترك ذلك بعد موته وانتقال الوظيفة إلى غيره .

ولا يخفى أن ما عليه الاصطلاح هو الوجه فإن النبى ﷺ قد قيد ما يبدأ بالبسملة بما يكون له بال من الأمور ، ومقتضاه أن مالا بال له لا يبدأ فيه ببسملة[٣] .

---

(١) الأجزم : مقطوع اليد أو أنه مجزوم عرض له الجزام ، والأول أوجه .

(٢) أخرجه أبو داود فى الأدب ، باب الهدى فى الكلام رقم/ ٤٨٤٠ ، ابن ماجه فى النكاح ، باب خطبه النكاح .
وأحمد فى المسند حـ ٢/ ٣٥٩ .

(٣) صبح الأعشى ، حـ ١١ ، ١٢٨ .
الباب الرابع من المقالة الثالثة (فى الفواتح والخواتم واللواحق حـ ٦/ ٢١٧) .

« فى أصل الافتتاح بالبسملة »

كانت قريش قبل البعثة تكتب فى أول كتبها « باسمك اللهم » وجاء الاسلام والأمر على ذلك حتى نزل قوله تعالى « إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم »[1] فاستفتح بها رسول الله ﷺ وصارت سنه بعده .

وروى محمد بن سعد فى طبقاته ان رسول الله ﷺ كان يكتب كما تكتب قريش « باسمك اللهم » ، حتى نزل عليه « وقال أركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها »[2] .

فكتب « بسم الله الرحمن » حتى نزل « إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم »[3] فكتب « بسم الله الرحمن الرحيم » .

فى الحث على تحسين البسملة :

ينبغى للكاتب أن يبالغ فى تحسين البسملة ما استطاع تعظيما لله تعالى فقد روى أن رسول الله ﷺ قال « من كتب بسم الله الرحمن الرحيم فحسنه أحسن الله إليه »[4] .

ويجب على الكاتب إطالة الباء لتدل على الألف المحذوفة منها لكثرة الاستعمال . ثم اثبات السين بأسنانها الثلاث غير مرسل لها إرسالا كما يفعله بعض الكتاب ، فقد كره أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وزيد بن ثابت ، والحسن وابن سيرين ، حتى يروى أن عمر رضى الله عنه ضرب كاتبا على حذف السين منها فقيل له : فيم ضربك عمر ؟ فقال : فى سين **فجرى مثلا** .

---

(1) سورة النمل / ٣٠ .
(2) سورة هود / ٤١ .

(3) النمل / ٣٠ .
(4) صبح الأعشى حـ ٦ / ٢٢١ .

وكذلك « يمد الباء قبل السين ، ثم يكتب السين بعد المدة » ، روى أن رسول الله ﷺ قال : « إذا كتب أحدكم بسم الله الرحمن الرحيم فلا يمدها قبل السين »[1] يعنى الباء .

بيان موضع البسملة من المكتوب :

أوضح القلقشندى موضع البسملة من المكتوب ، وقال أنه يتعلق به أمران :

الأول : تقدمها فى الكتابة .

الثانى : إفرادها فى الكتابة .

الأمر الأول : تقدمها فى الكتابة :

يجب تقديم البسملة فى أول الكلام ، تبركا بالابتداء ، وتيمنا بذكر الله . على أنه قد أختلف فى معنى قوله تعالى حكاية عن بلقيس حين ألقى إليها كتاب سليمان عليه السلام : « إنى ألقى إلى كتاب كريم إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم »[2] فذهب بعض المفسرين إلى أن قوله : « إنه من سليمان » من كلام بلقيس ، وأنها حكت الكتاب بقولها : « أنه بسم الله الرحمن الرحيم » إلى آخر الآية ، فيكون ابتداء الكتاب « بسم الله الرحمن الرحيم » ويكون ذلك احتجاجا على وجوب تقديمها .

وذهب آخرون إلى أن قوله : « إنه من سليمان » بداية كتاب سليمان ، فيكون سليمان عليه السلام قد بدأ فى كتابه باسمه .

فإن قيل : كيف ساغ على ذلك تقديم اسمه على اسم الله تعالى فى الذكر مع أن الأنبياء عليه السلام أشد الناس أدبا مع الله تعالى ؟..

فالجواب ما قيل : أنه كان عادة ملوك الكفر أنه إذا ورد عليهم كتاب بما يكرهون ربما مزقوا أعلاه ، أو ثقلوا فيه ، فجعل سليمان عليه السلام اسمه تقيه

---

(١) جمع الجوامع حديث رقم ٢٥٥٤ وكنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال حديث رقم ٩٢٩٩ .

(٢) النمل / ٣٠ .

لاسم الله تعالى فذكره أولا ، ومن هنا اصطلح الكتاب فى الكتب الصادرة عن ملوك الاسلام إلى ملوك الكفر بكتابة القاب الملك المكتوب عنه فى وصل فوق البسملة تأسيسا بسليمان عليه السلام .

الأمر الثانى : أفرادها فى الكتابة :

ينبغى للكاتب أن يفرد البسملة فى سطر وحدها ، تبجيلا لاسم الله تعالى وأعظاما وتوقيرا له . وذلك لما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ . « نهى أن يكتب فى سطر » بسم الله الرحمن الرحيم « غيرها » .

٢ ــ الحمد له :

وبعد البسملة يأتى الحمد ، طلبا للتيمن والتبرك للتيمن والتبرك « وتأسيا بكتاب الله تعالى » من حيث أن البسملة آية من الفاتحة كما هو مذهب الشافعى رضى الله عنه[١] أو فاتحة لها ــ وإن لم تكن منها كما هو مذهب غيره .

---

(١) يرى الشافعى رضى الله عنه أن « بسم الله الرحمن الرحيم » آية من الفاتحة ، ومن أول سورة كتبت فيها ، وأبن رأيه هذا بعدة أدلة منها :

١ ــ ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قرأتم الفاتحة فاقرأوا بسم الله الرحمن الرحيم فإنها إحدى آياتها » .

أخرجه الزيلعى فى نصب الراية حـ ٣٤٣/١ ، والبيهقى فى السنن الكبرى حـ ٤٥/٢ وجمع الجوامع حديث رقم/٢٣٣٨ ، وكنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال حديث رقم ١٩٦٦٥ ، والدر المنثور حـ ٢٩٦/٦ ، وسبل السلام حـ ٢٩٠/١ حديث رقم/٢٦٥ .

٢ ــ وعن نعيم المجمر قال : صليت وراء أبى هريره رضى الله عنه فقرأ « بسم الله الرحمن الرحيم » ثم قرأ بأم القرى ، حتى إذا بلغ « ولا الضالين » قال : « آمين » ويقول كلما سجد وإذا قام من الجلوس الله أكبر ، ثم يقول إذا سلم والذى نفسى بيده أنى لأشبهم صلاة برسول الله ﷺ « أخرجه النسائى فى الصلاة .. » .

سبل السلام حـ ٢٨٩/١ حديث رقم/٢٦٤ .

وهو أصح حديث ورد فى ذلك مؤيد للأصل ، وهو كون البسملة حكمها حكم الفاتحة فى القراءة جهرا وإسرارا ، إذ هو ظاهر فى أنه كان ﷺ يقرأ البسملة لقول أبى هريرة رضى الله عنه إنى لأشبهكم صلاة برسول الله ﷺ .

٣ ــ روى عبد الحميد بن جعفر عن نوح بن أبى بلال ، عن سعيد المقبرى ، عن أبى هريرة رضى =

= الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يقول : الحمد لله رب العالمين سبع آيات إحداهن بسم الله الرحمن الرحيم .
٤ ــ وروى الترمذى وأبو داود عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم .
أخرجه الترمذى فى الصلاة ، باب من رأى الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم رقم/٢٤٥ .
٥ ــ وأخرج البخارى عن أنس رضى الله عنه أنه سئل عن قراءة رسول الله ﷺ فقال : كانت قراءته مدا ، ثم قرأ « بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم مالك يوم الدين » أخرجه البخارى فى فضائل القرآن ، باب من القراءة ، أبو داود فى الصلاة رقم/١٤٥٦ ، باب استحباب الترتيل فى القراءة ، النسائى فى الصلاة ، باب الصوت بالقراءة .
وقال الدارقطنى : أسناده صحيح .
وكان ذلك يوجب أن يقول الأئمة الآخرون بمثل ماقال الشافعى رضى الله عنه ، لأن ذلك هو الطريق الذى علمت به قرآنية مابين دفتى المصحف وأن هذه الآية من هذه السورة ، وتلك من تلك .
٦ ــ واستدلوا ــ الشافعية ــ أيضا باتفاق الصحابة فى عصر الرسول ﷺ وفى زمن أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهما على أن ذلك قرآن وأن جميع مافى المصحف من أوله إلى آخره كلام الله عز وجل وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن جبريل عليه السلام كان إذا نزل على النبى ﷺ « بسم الله الرحمن الرحيم » عرف أنها سورة قد تمت ، واستقبل السورة الأخرى .
ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط البخارى ومسلم وأبو داود حـ ١/٥٧٧ .
٧ ــ ولأنا نعلم أنه قد ادعى كون « بسم الله الرحمن الرحيم » قرآنا منزلا جماعة من الصحابة ، وأعلنوا ذلك وظهر عنهم فلم ينكر عليهم ذلك أحد مع أنه لا يجوز أن يقال كل مجتهد فيه مصيب ، وان الاثم عن مخطىء الحق فيه موضوع ، لأنه ادخال فى القرآن مالبس منه ، وهو بمثابة أخراج بعضه .
يدل على أنها آية عند الصحابة اتفاق جميعهم على اثباتها فى افتتاح كل سورة ، وتركهم لذلك فى افتتاح سورة براءة . عن ابن عباس رضى الله عنهما : قال : قلت لعثمان : ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهى من المثانى وإلى براءة وهى من المئين فقرنتم بينهما ، ولم تكتبوا بينهما سطر « بسم الله الرحمن الرحيم » ووضعتموها فى السبع الطوال ، فقال عثمان : كان رسول الله ﷺ تنزل عليه السورة ذات العدد ، فكان إذا نزل عليه شىء دعا بعض من يكتب ، فيقول ضعوا هذه الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا : وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة ، وكان براءة من آخر القرآن نزولا ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها ، فقبض رسول الله ﷺ فلم يبين لنا أنها منها ، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر ، « بسم الله الرحمن الرحيم » ووضعتها فى السبع الطوال .. =

٨ ــ وفى سنن البيهقى ــ جـ ٢ ص ٥٢ ــ ٥٣ ولأبى هريرة وابن عباس رضى الله عنهم : « إن الفاتحة هى السبع من المثانى ، وهى السبع آيات ، وأن البسملة هى الآية السابعة » .

عن أبى سعيد بن المعلى رضى الله عنه قال : « كنت أصلى فى المسجد فدعانى رسول الله ﷺ فلم أجبه ، ثم أتيته ، فقلت : يارسول الله ، أنى كنت أصلى : فقال : ألم يقل الله « استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم » الأنفال / ٢٥ ؟ ثم قال لى : ألا اعلمك سورة هى أعظم السور فى القرآن قبل أن تخرج من المسجد ؟، ثم أخذ بيدى ، فلما أراد أن يخرج قلت : ألم تقل : لأعلمنك سورة هى أعظم سورة فى القرآن ؟ قال : « الحمد لله رب العالمين » قال : « هى السبع المثانى ، والقرآن العظيم الذى أوتيته » .

أخرجه البخارى فى تفسير سورة فاتحة الكتاب ، باب ما جاء فى فاتحة الكتاب وفى تفسير سورة الأنفال ، باب « يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله للرسول .. » وفى تفسير سورة الحجر باب « ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم » « وفى فضائل القرآن باب فاتحة الكتاب » .

وأبو داود فى الصلاة ، باب فاتحة الكتاب رقم ١٤٥٨.

النسائى حـ ٢ / ١٣٩ فى الافتتاح ، باب تأويل قول الله عز وجل « ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم » .

وقال الحافظ فى الفتح وليس لأبى سعيد هذا فى البخارى سوى هذا الحديث واختلف فى اسمه ، فقيل رافع ، وقيل الحارث ، وقواه ابن عبد البر ، ووهى الذى قبله ، وقيل أوس بل أوس اسم أبيه والمعلى جده .

وعن أبى سعيد بن المعلى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ نادى أبى بن كعب ، وهو يصلى فلما فرغ من صلاته لحقه قال أبى : فوضع رسول الله ﷺ يده على يدى فقال : أنى لأرجو ألا تخرج من المسجد حتى تعلم سورة ما أنزل فى التوراة ولا فى الانجيل ولا فى الزابور مثلها قال أبى : فجعلت أبطىء فى المشى وجاء ذلك فلما دنا قلت : يارسول الله السورة التى وعدتنى ؟ قال : كيف تقرأ إذا أفتتحت الصلاة ؟ قال أبى : فقرأت « الحمد لله رب العالمين » حتى أتيت على آخرها فقال رسول الله ﷺ هى هى هذه السورة ، وهى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أعطيته ..

أخرجه مالك فى الموطأ فى الصلاة ، باب ما جاء فى أم القرآن مرورا ــ أيضا الحاكم حـ ١ / ٥٥٧ ورواه أيضا من حديث أبى هريرة عن أبى بن كعب وصححه الحاكم وأقره الذهبى .

٩ ــ روى عن أبى بن كعب رضى الله عنه قال : قال : قال رسول الله ﷺ « ما أنزل الله فى التوراة والإنجيل مثل أم القرآن ، وهى السبع المثانى وهى مقسومة بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل » .

الترمذى فى تفسير القرآن ، باب ومن تفسير سورة الحجر ، النسائى فى افتتاح الصلاة ، باب تأويل قول الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم ، وهو حديث حسن ، وصححه ابن حيان .

١٠ ــ وعن أم سلمة رضى الله عنها ، أنها سألت عن قراءة رسول الله ﷺ ؟ قالت : كان يقطع قراءته آية آية : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ..
رواه الامام أحمد والبيهقي .
(ينظر المجموع شرح المهذب) جـ ٣/٢٦٩ .
البيهقي جـ ٢/٤٦ وشرح معاني الآثار جـ ١ ١١٧ .
والمغنى جـ ١/٤٨٣ .
والمهذب للشيرازي جـ ١/١٧٩ .
(٢) وقال المالكية : إنها ليست آية من الفاتحة ، وهي وإن تواتر كتبها في أوائل السور فلم يتواتر كونها قرآنا فيها ، واستدل المالكية لمذهبهم بما يأتي :
١ ــ ما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يفتتح الصلاة بالتكبير ، والقراءة بالحمد لله رب العالمين ، أخرجه مسلم في الصلاة ، باب حجة من قال : لا يجهر بالبسملة .
أبو داود في الصلاة ، باب من لم ير الجهر « ببسم الله الرحمن الرحيم » .
٢ ــ وبما روى عن أنس رضى الله عنه قال : صليت خلف النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين .
البخاري في صفة الصلاة ، باب ما يقول بعد التكبير .
أخرجه مسلم في الصلاة ، باب حجة من قال لا تجهر بالبسملة ومالك في الموطأ جـ ١ ص ٨١ في الصلاة ، باب العمل في القراءة وأبو داود في الصلاة ، باب من لم ير الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم رقم/٧٨٢ .
الترمذي في الصلاة ، باب ماجاء في افتتاح القراءة بالحمد لله رب العالمين رقم/٢٤٦ .
والنسائي في الافتتاح باب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم ، وباب ترك الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم .
٣ ــ وبما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ : قال : قال الله تعالى « قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين ، فنصفها لى ، ونصفها لعبدى ، ولعبدى ما سأل ، فإذا قال الحمد لله رب العالمين ، قال حمدنى عبدى ، وإذا قال الرحمن الرحيم قال : مجدنى عبدى وإذا قال مالك يوم الدين ، قال : فوض إلى عبدى ، وإذا قال اياك نعبد وإياك نستعين قال : هذا بيني وبين عبدى ولعبدى ما سأل ، فيقول عبدى أهدنا الصراط المستقيم إلى آخرها قال : لعبدى ما سأل ..
رواه مسلم في الصلاة ، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة . مالك في الموطأ في الصلاة باب القراءة خلف الامام فيما لا يجهر فيه بالقراءة ، جـ ١/٨٤ .
أبو داود رقم/٨١٩ ، ٨٢٠ و ٢١ في الصلاة باب من ترك القراءة في الصلاة بفاتحة الكتاب والترمذي في التفسير باب معن سورة الفاتحة رقم/٢٩٥٤ و٢٩٥٥ ، النسائي في الافتتاح ، باب ترك قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في فاتحة الكتاب .

= فلو كانت « بسم الله الرحمن الرحيم » آية لعدها وبدأ بها ويقول الباقلانى » والصحيح ان (بسم الله الرحمن الرحيم) ليست بآية من سورة الحمد ولا من غيرها » سوى سورة النمل ، لأنه قد صح وثبت أن النبى ﷺ ترك الجهر بها ، وأن كان قد روى أنه ربما جهر بها ، والأئمة من بعده تركوا الجهر بها ، والجهر بجميع سورة الحمد واجب فى صلاة الجهر ، فلو كانت آية لوجب الجهر بها كما يجب لسائر آياتها (ينظر نكت الانتصار للباقلانى ص ٧٦ تحقيق ، ومحمد زغلول سلام) .

(٣) وقال الحنيفة : ان كتبها فى المصحف يدل على أنها قرآن ، ولكن لايدل على أنها بعض السورة فهى اذن على رأيهم آية من القرآن تامة فى غير سورة النمل أنزلت للفصل بين السور ، واستدلوا بما يأتى :

١ ــ بما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان لا يعرف فصل السورة حتى ينزل عليه « بسم الله الرحمن الرحيم » . أخرجه أبو داود . فى كتاب الصلاة باب من جهر بها رقم/٧٨٨ .

٢ ــ وبما روى عن النبى ﷺ من قوله « سورة من القرآن هى ثلاثون آية شفعت لقارئها وهى سورة تبارك الذى بيده الملك وقد أجمع القراء والعدادوم على أنها ثلاثون آية عدا البسملة وكذلك سورة الكوثر اتفقوا على أنها ثلاث آيات ليست البسملة منها . وهذا يدل على أن « بسم الله الرحمن الرحيم » ليست احدى آيات هاتين السورتين ، ولا فارق بين سورة وأخرى ، فلا تكون آية من الفتحة ولا من غيرها من السور . ينظر : أصول السرخسى حـ ١ / ٣٦٨ وشرح معنى الآثار حـ ١/ ٤٣ .

ــ ونرى أن الرأى الذى تطمئن إليه النفس هو رأى الشافعية القائل لها آية من سورة الفاتحة وبها تحتسب آياتها سبعا ، قال الله تعالى « ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم » فالمقصود بالسبع المثانى الفاتحة بوصفها سبع آيات » من المثانى » لأنها يثنى بها وتكرر فى الصلاة ، وأنه لا صلاة لمن لم يقرأ فاتحة الكتاب عن عبادة بن العباس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا صلاة لمن لم يقرأ فاتحة الكتاب » البخارى فى صفة الصلاة ، باب وجوب القراءة للامام والمأموم فى الصلاوات كلها فى الحضر والسفر ومسلم فى الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة فى كل ركعة ، وأبو داود فى الصلاة باب من ترك القراءة فى صلاته بفاتحة الكتاب رقم/ ٨٢٢ ، الترمذى فى الصلاة ، باب ما جاء أنه لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب ، النسائى فى الافتتاح ، باب قراءة فاتحة الكتاب فى الصلاة .

وعن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهى خداج فهى خداه غير تمام » أى ناقصة نقص فساد وبطلان . تقول العرب : إذا أخرجت الناقة إذا ألقت ولدها وهو دم لم يستبن خلقه فهى مخرج . والخراج اسم منهى عنه . والحديث أخرجه مسلم رقم : ٣٩٥ والترمذى رقم/ ٢٩٥٤ وأبو داود فى الصلاة باب القراءة فى الفجر رقم ٨٢١ والنسائى رقم ٩١٠ وابن ماجه رقم ٨٣٨ .

ومسألة البسملة مسألة عظيمة الشأن مهمة أن ينبنى عليها صحة الصلاة التى هى أعظم الأركان بعد التوحيد ولقد أجمع الصحابة رضوان الله عليهم على اثباتها فى المصحف جميعا فى أوائل السور سوى =

براءة بخط المصحف سوى الأعشار وتراجم السور ، فإن العادة كتابتها مجهرة ونحوها ، ولو لم تكن قرآنا لما استجازوا إثباتها بخط المصحف من غير تمييز لأن ذلك يحمل على اعتقاد أنها قرآن فيكون مقردين بالمسلمين ، حاملين لهم على اعتقاد ماليس بقرآن قرآنا ، فهذا مما لا يجوز اعتقاده في الصحابة رضوان الله عنهم . « المجموع جـ ٣ / ٢٦٩ » ، ولقد أنكر الامام الغزالى رضى الله عنه ماذهب إليه الباقلانى وذكر حديث « كان النبى ﷺ لا يعرف ختم السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم » . قال والقاضى معترف بهذا لكنه تأوله على أنها كانت تنزل ولم تكن قرآنا .
قال : وليس كل منزل قرآنا . قال الغزالى : وما من منصف إلا ويرد هذا التأويل ويضعفه .
وأعترف أيضا بأن البسملة كتبت بأمر رسول الله ﷺ فى أوائل السور مع أخباره ﷺ أنها منزلة ، وهذا موصم كل أحد أنها قرآن ، ودليل قاطع — أو كالقاطع — أنها قرآن فلا وجه لترك بيانها لو لم تكن قرآنا .

فان قيل : لو كانت قرآنا لبينها .

فالجواب : أنه ﷺ اكتفى بقوله أنها منزلة وباملائها على كتابه وبأنها تكتب بخط القرآن كما لم يبقى عند إملاء كل آية أنها قرآن اكتفاء بعلم ذلك من قرينة الحال ومن التصريح بالانزال .

فإن قيل : لا يعرف فضل السورة ، دليل على أنها للفصل .

قلنا : موضع الدلالة قوله : « حتى ينزل » فأخبر بنزولها وهذا صفة كل القرآن ، وتقدير الله لا يعرف بالشروع فى سورة أخرى إلا بالبسملة فإنها لا تنزل إلا فى أوائل السور .

قال الغزالى : الغرض بيان أن المسألة ليست قطعية بل ظنية ، وأن الأدلة وإن كانت متعارضة فجواب الشافعى فيها أرجح وأغلب ...

وقال الخطابى :

وقول عائشة رضى الله عنها « كان يفتتح القراءة بالحمد لله رب العالمين » قد يحتمل أن يكون أرادت به تعيين القراءة ، فذكرة اسم السورة وعرفتها بما يتعرف به عند الناس من غير حذف آية البسملة كما قال : قرأت البقرة ، وقرأت آل عمران ، يراد به السورة التى يذكر فيها البقرة وآل عمران . معالم السنن جـ ١ ص ٤٩٢ .

وأما الجواب عن حديث « قسمت الصلاة » فمن أوجه :

أحدها : أن البسملة انما لم تذكر لا ندارجها فى الآيتين بعدها .

الثانى : أن يقال معناه فإذا انتهى العبد فى قراءته إلى « الحمد لله رب العالمين » وحينئذ تكون البسملة داخلة .

الثالث : أن يقال : المقسوم ما يختص بالفاتحة من والآيات الكاملة وأخبرنا بالكاملة عن قوله تعالى : « الحمد لله رب العالمين » الزمر / ٧٦ وعن قوله « وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين » الصافات / ١٨١ — ١٨٢ .

الرابع : لعله قاله قبل نزول البسملة ، فإن النبى ﷺ كان ينزل عليه الآية فيقول : ضعوها فى سورة كذا .

الخامس : أنه جاء ذكر البسملة فى رواية الدارقطنى والبيهقى قال : « فإذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرنى عبدى » البيهقى جـ ٢ / ٤٦ والمجموع جـ ٣ / ٢٧١ — ٢٧٢ .

قال في الصناعتين « وإنما افتتح الكلام بالحمد ، لأن النفوس تتشوق للثناء على الله تعالى ، والافتتاح بما تتشوق النفوس إليه مطلوب »[1] .

٣ ــ في التشهد في الخطب :

جرت عادة المتأخرين بالاتيان في التشهد بعد التحميد في الخطب ، ويكون تابعا لصيغة التحميد ، واستدلوا بما روى أن النبي ﷺ قال : « كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء »[2] .

٤ ــ الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

وبعد ذلك تأتي الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، لقوله تعالى « ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما »[3] والأحاديث الواردة في الحث على ذلك أكثر من أن تحصر ، فناسب أن تكون في أوائل الكتب تيمنا وتبركا .

وقد جاء في تفسير قوله تعالى « ورفعنا لك ذكرك »[4] أن المعنى مما ذكرت إلا وذكرت معي ، فإذا أتى بالحمد في أول كتاب ، ناسب أن يؤتى بالصلاة على النبي ﷺ في أوله إتيانا بذكره بعد ذكر الله تعالى .

وقد روى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي ﷺ : قال : « من صلى على في كتاب لم تزل الصلاة جارية له مادام اسمى في ذلك الكتاب » .

وفي لفظ عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من صلى على واحدة صلى الله عليه عشرا »[5] وفي لفظ عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن

(١) صبح الأعشى جـ ٦/٢٢٥ .
(٢) أبو داود في الأدب ، باب في الخطبة رقم ٤٨٤١ ، الترمذي في النكاح ، باب كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء .
(٣) الأحزاب/ ٥٦ .
(٤) الانشراح/ ٤ .
(٥) مسلم في الصلاة ، باب الصلاة على النبي ﷺ ، الترمذي في الصلاة باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ ، أبو داود في الصلاة ، باب في الاستغفار .

النبى ﷺ قال : « من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات ، وحطت عنه عشر خطيئات ، ورفعت له عشر درجات »[١] .

وأما السلام عليه ﷺ بعد التصلية ، فقد قال الشيخ محيى الدين النووى فى كتابه الأذكار « وإذا صلى على النبى ﷺ فليجمع بين الصلاة والتسليم ولا يقتصر على أحدهما ، فلا يقال : صلى الله عليه فقط ، ولا عليه السلام فقط ، قال الشيخ عماد الدين ابن كثير ، وهذا منتزع من قوله تعالى « إن الله وملائكته يصلون على النبى » وتكون أوجبت فى العهود والتقاليد والتفاريض والمراسيم »[٢] .

٥ ـــ السلام فى أول الكتب :

ويلى ذلك تحية الكاتب بالسلام « وإنما جعل السلام فى ابتداء الكتب وصدورها لأنه تحية الاسلام المطلوبة لتأليف القلوب ، فكما صح أنه يفتتح به الكلام طلبا للتأليف كذلك تفتتح به المكاتبات وتصدر طلبا للتأليف ، إذ يقول ﷺ « ألا أنبئكم بشىء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم »[٣] .

ويقول فى أول الكتاب « سلام عليك » وفى آخره « والسلام عليك » والمعنى فيه أن الأول نكرة ، إذ لم يتقدم له ذكر ، والثانى معرفة يشار به إلى السلام على حد قوله تعالى « كما أرسلنا إلى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول »[٤] فأتى فى الأولى بتنكير الرسول وفى الثانى بتعريفه . وكذلك قال تعالى فى قصة يحيى عليه السلام « وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا »[٥] ثم قال بعد ذلك فى قصة عيسى عليه السلام « والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً » .

(١) النسائى فى السهو ، باب الفضل فى صلاة النبى ﷺ .

(٢) صبح الأعشى حـ ٦ / ٢٣٧ ـــ ٢٣٨ .

(٣) مسلم فى الايمان باب بيان ألا لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ، أبو داود باب إفشاء السلام ، الترمذى فى الاستئذان ، باب إفشاء السلام ، ابن ماجه فى المقدمة رقم / ٦٨ ، وفى الأدب ، باب إفشاء السلام .

(٤) المزمل / ١٥ ـــ ١٦ .

(٥) مريم / ١٥ .

والذى يظهر لنا مما سبق أن سلام التحية يكون ابتداء ، فيكون نكرة وسلام الوداع يكون انتهاء فيكون معرفة لرجوعه إلى الأول .

ثم يقول القلقشندى « وقد كره بعض العلماء أن يقال فى الابتداء ، عليك السلام احتجاجاً بما روى عن أبى مكعث الأسدى أنه قال : « أتيت رسول الله ﷺ فأنشدته :

يقول أبو مكعث صادقا : عليك السلام أبا القاسم ..
فقال : « يا أبا مكعث عليك السلام تحية الموتى »[1]،[2] .

٦ ــ أما بعد :

ويأتى بعد ذلك قولهم فى المكاتبات « أما بعد » . وهى مركبة من لفظين : أحدهما : « أما » والثانى : « بعد » . فأما « أما » فحرف شرط و « بعد » ظرف زمان إذا أفرد بنى على الضم ، قال الله تعالى : « لله الأمر من قبل ومن بعد »[3] .

وأجاز القراء أما بعدا بالنصب والتنوين ، وأما بعد بالرفع والتنوين .

ثم أما تقع فى كلام العرب لتوكيد الخبر والفاء لازمة لها لتصل ما بعدها بالحرف الملاصق لما قبلها فتقول : أما بعد أطال الله بقاءك فإنى قد نظرت فى الأمر الذى ذكرته .

ويجوز أما بعد فأطال الله بقاءك إنى نظرت فى ذلك . فتثبت الفاء فى أطال ، وإن كان معترضا لقربه من « أما » .

وقد اختلف فى أول من قال : « أما بعد » : فقيل : داود عليه السلام ،

---

(١) أبو داود فى كتاب الأدب ، باب كراهية أن يقول « عليك السلام » الترمذى فى الاستئذان ، باب ماجاء فى كراهية أن يقول عليك السلام مبتدئا عن أبى تيمة عن جابر بن سليم ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) صبح الأعشى جـ ٦ / ٢٣٠ .

(٣) سورة الروم/ ٢ .

وبه فسر فصل الخطاب فى قوله تعالى: «وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب»[1] على أحد الأقوال .

وقيل أول من قالها كعب بن لؤى جد النبى ﷺ ، وقيل قس بن ساعدة الايادى ومعناها « مهما يكن من شيء »[2] .

٧ ـ الافتتاح بالدعاء :

المعنى فى الدعاء فى المكاتبات التودد والتحبب ، وقد أمر ﷺ المسلمين أن يكونوا إخوانا ، ومن أخوتهم تود بعضهم بعضا ، وكذلك القول بما يؤكد الأخوة بينهم والمودة من بعضهم لبعض .

وقد أختلف فى جواز المكاتبة بالدعاء فى الجملة :

فذهب ذاهبون إلى جواز ذلك كما يجوز الدعاء فى غير المكاتبة ، سواء تضمن الدعاء معنى الدوام والبقام أم لا ، أما ما يتضمن معنى الدوام والبقاء ، فلما روى أن النبى ﷺ قال لأبى اليسر كعب بن عليه ـ لعل عليه اسم أمه ـ « اللهم أمتعنا به »[3] وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يقول : « اللهم متعنى بسمعى وبصرى واجعلهما الوارث منى ، وأنصرنى على من يظلمنى وخذ منه بثأرى »[4] بل حكى عن بعضهم أم الدعاء يطول البقاء أكمل فى الدعاء ، وأفحمه ، لأن كل نعمة لا ينتفع بها إلا مع طول البقاء .

وأما ما لم يتضمن معنى الدوام والبقاء كالعز والكرامة ، فقد روى عن كعب بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من رأى منكم مقتل

---

(١) ص/٢٠ .

(٢) صبح الأعشى حـ ٦/٢٣١ .

(٣) أخرجه أحمد فى المسند حـ ٣/٤٢٧ طبعة الميمنية .

(٤) أخرجه الترمذى فى الدعوات ، باب اللهم متعنى بسمعى ، وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه . ويشهد له حديث ابن عمر عند الترمذى بلفظ « اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا » وأخرجه الحاكم فى المستدرك ط/٥٢٨ .

حمزة ؟ فقلت أعزك الله أنا رأيته »[1] وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : دخل جرير بن عبد الله على النبى ﷺ ، فضن الناس بمجالسهم فلم يوسع له أحد ، فرمى رسول الله ﷺ ببردته وقال : « أجلس عليها ياجرير ، فتلقاها بوجهه ونحره فقبلها ثم ردها على ظهره ، وقال : أكرمك الله يارسول الله كما أكرمتنى »[2] فقد دعا له ﷺ كعب بن مالك بالعزة وجرير بن عبد الله بالكرامة ولم ينكر ذلك على واحد منهما .

وذهب آخرون إلى أنه لا تجوز المكاتبة بالدعاء ، سواء تضمن معنى الدوام والبقاء أم لا ، لأنه خلاف ما وردت به السنة وجرى عليه اصطلاح السلف . وفصل بعضهم فقال : أن الدعاء مما لا يتضمن معنى الدوام والبقاء ونحوه . أكرمك الله بطاعته وقولا له بحفظه وأسعد له بمعرفته وأعزك بنصره « جاز لحديثى كعب بن مالك وجرير بن عبد الله المتقدمين » .

وإن كان مما يتضمن معنى الدوام والبقاء نحو « أطال الله بقاءك » و « نسأ أجلك وأمتع بك » وما أشبه ذلك لم تجز المكاتبة به — واحتج لذلك بحديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه « إن أم صفية بنت أبى سفيان زوج النبى ﷺ قالت : « اللهم أمتعنى بزوجى رسول الله ﷺ وبأبى أبى سفيان وبأخى معاوية » — فقال لها رسول الله ﷺ : لقد دعوت الله لآجال مضروبة وأرزاق مقسومة لا يتقدم منها شيء قبل أجله ولا يتأخر بعد أجله ، ولو سألت الله أن يقيك عذاب النار لكان خيرا لك »[3] .

وبما روى أن الزبير بن العوام رضى الله عنه قال للنبى ﷺ « جعلنى الله فداك » فقال له النبى ﷺ « أما تركت أعرابيتك بعد » ، فقد أنكر ﷺ على أم حبيبة والدعاء بما فيه طول البقاء ، وإذا أمتنع ذلك فى مطلق الدعاء ، أمتنع فى المكاتبة من باب أولى ، لمخالفة طرقها التى وردت بها السنة[4] .

(١) الطبقات لابن سعد حـ ٢ ص ٤ ، ٦ ، وأحمد فى المسند حـ ١ ص ٤١٣ .

(٢) إتحاف المادة المتقين حـ ٧ ص ١١١ .

(٣) أخرجه مسلم فى القدر ، باب بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تتغير ولا تنقص عما سبق له القدر .

(٤) صبح الأعشى حـ ١٠ ص ٣٣٤ — ٣٣٦ .

أن يفتح الكتاب بيقبل الأرض

والأصل فى ذلك أن تحية الملوك والرؤساء والأكابر فى الأمم الخالية كانت بالسجود ، كما يحيى المسلمون بعضهم بعضا بالسلام . وقد قال قتادة فى قوله تعالى : عن إخوة يوسف عليه السلام « وخروا له سجدا »[1] كانت تحية الناس يومئذ سجود بعضهم لبعض ، وعليه حمل قوله تعالى « وأقلنا للملائكة أسجدوا لآدم فسجدوا »[2] على أحد التفاسير ، وهو المرجح عند الامام فخر الدين وغيره من المفسرين .

قال الشيخ عماد الدين بن كثير رحمه الله فى تفسيره : وكان ذلك مشروعا فى الأمم الماضية ، ولكنه نسخ فى ملتنا . قال معاذ يارسول الله : أنى قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لأساقفتهم وعلمائهم فأنت يارسول الله أحق أن يسجد لك . فقال : لا لو كنت أمرا بشرا أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لبعلها من عظم حقه عليها »[3] .

وفى لفظ عن قيس بن سعد رضى الله عنه قال : أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان[4] فقلت رسول الله ﷺ أحق أن يسجد له ، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : أنى أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان فأنت أحق أن يسجد لك ، فقال لى رسول الله ﷺ : أرأيت لو مررت بغيرى أكنت تسجد له ؟ فقلت : لا فقال : لا تفعلوا ، لو كنت آمراً أحدا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدوا لأزواجهن لما جعل الله لهم عليهن من حق[5] .

وعن صهيب أن معاذا لما قدم من اليمن سجد للنبى ﷺ فقال : يامعاذ ما هذا ؟ قال : إن اليهود تسجد لعظمائها وعلمائها ، ورأيت النصارى تسجد

(١) يوسف/٩٩ .

(٢) البقرة/٣٤ ، الاسراء/٦١ ، الكهف/٥٠ .

(٣) الترمذى فى الرضاع ، باب ما جاء فى حق الزوج على المرأة وهو حديث صحيح له شواهد .

(٤) مرزبان : بضم الزاى واحد مرازبه الفرس معرب ، وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم .

(٥) أبو داود فى النكاح ، باب فى حق الزوج على المرأة .

لقسيسيها وبطارقتها ، قلت ما هذا ؟ قالوا : تحية الأنبياء — فقال ﷺ : كذبوا على أنبيائهم[1] .

وعن سفيان الثورى عن سماك بن هانىء قال : دخل الحائليق على على بن أبى طالب فأراد أن يسجد له فقال له على : اسجد لله ولا تسجد لى .

فلما وردت شريعة الاسلام بنسخ التحية بالسجود ، وغلب ملوك العجم على الأقطار أستصحبوا ما كان عليه الأمر فى الأمم الخالية ، وعبروا عنه بتقبيل الأرض فرارا من اسم السجود ، ولورود الشريعة بالنهى عنه ، واستمر ذلك تحية الملوك إلى الآن ، فأستعار الكتاب ذلك ونقلوه عن الفعل إلى اللفظ فأستعملوه فى مكاتباتهم إلى الخلفاء والملوك ، ثم توسعوا فى ذلك فكاتبوا به كل من عظمة بالنسبة إلى المكتوب عنه .

أن يفتتح الكتاب بيقبل اليد ومافى معناها :

والأصل فى هذه المكاتبة أن يقبل اليد ومافى معناها مما يؤذن بالتعظيم والتبجيل والتكريم ، وعلو القدر وزيادة الرفعة مع أنه ليس بممنوع فى الشريعة ، فقد ثبت فى الصحيحين فى حديث الأفك « أنه لما أنزل الله تعالى براءة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، قال لها أبوها : قومى إلى النبى ﷺ فقبلى يده »[3] .

ولم يكن الصديق رضى الله عنه ليأمرها بما هو ممنوع فى الشريعة ، وقد نص الفقهاء رحمهم الله على أنه يجوز تقبيل يد العالم والرجل الصالح ونحوهما فاستعار الكتاب ذلك ونقلوه من الفعل إلى الكتابة أيضا كما فعلوه فى تقبيل الأرض[4] .

---

(١) الطبرانى فى الكبير حـ ٨ ص ٣٦ حديث رقم/٧٢٩٤ .

(٢) صبح الأعشى حـ ٦ ص ٣٤٠ .

(٣) البخارى فى التفسير باب سورة النور عن عائشة رضى الله عنها ، مسلم فى كتاب التوبة حديث رقم/٥٦ .

(٤) صبح الأعشى حـ ٦ ص ٣٤٠ — ٣٤١ .

٨ ــ فى الخواتيم :

يستحب للكاتب عند انتهاء ما يكتبه أن يكتب « إن شاء الله تعالى » تبركا ورغبة فى نجاح مقصد الكاتب وذلك لقوله تعالى « ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله »[١] .

والاستثناء لا يدخل على ماض فلا يقال : « ما فعلت ذلك إن شاء الله » وإنما يدخل ذلك على مستقبل فتقول : لا أفعل ذلك إن شاء الله . على حد قوله تعالى « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين ملحقين رءوسكم »[٢] وكذلك كل ما فيه معنى الاستقبال كما قال الله تعالى : حكاية عن يوسف عليه السلام « وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين »[٣] .

وقد ذم الله تعالى من ترك الاستثناء فقال : « إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم »[٤] . إلى آخر القصة ..

قال أصحاب السير : كان باليمن رجل له جنة يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقى ، وكان يترك للمساكين ما أخطأ المنجل من الزرع أو القطاف من العنب والنخل ، وما بقى على البساط الذى يبسط تحت النخلة ، فلما مات شح بنوه على المساكين بما كان يتركه أبوهم وحلفوا على قطعها فى الفلس كيلا يدركهم الفقراء فأصابتها نار فى الليل فأحترقت وأصبحت كالصريم ، يعنى الليل المظلم .

قال المفسرون : والمراد بقوله : « ولا يستثنون » أنهم لم يقولوا إن شاء الله . قال الزمخشرى : وسمى استثناء وإن كان بمعنى الشرط ، لأنه يؤدى مؤدى

---

(١) الكهف/٢٣ ــ ٢٤ .
(٢) الفتح/٢٧ .
(٣) يوسف/٩٨ .
(٤) القلم/١٧ ــ ٢٠ .

الاستثناء من حيث أن معنى قوله : لأخرجن إن شاء الله ولا أخرى إلا أن يشاء الله[1] .

وعبارة « إن شاء الله » موضعها من الصفحة أسفل المكتوب فى وسط الوصل مكتنفة بياض عن يمينها وشمالها ، وبينها بين السطر الآخر من المكتوب ، كما بين سطرين أو دونه .

وبعد ذلك تؤرخ المكاتبة ، لأن التاريخ يستدل به على بعد مسافة الكتاب وقربها وتحقيق الأخبار على ماهى عليه[2] .

---

(١) صبح الأعشى حـ ٦/٢٣٢ ــ ٢٣٣ .

(٢) صبح الأعشى حـ ٦/٢٣٥ .

رابعا : بعض ما يحتاج إليه كاتب الانشاء من الثقافة الاسلامية

رأى القلقشندى أن مما يحتاج إليه كاتب الإنشاء : حفظ كتاب الله العزيز ، وحفظ بعض الأحاديث النبوية الشريفة ، ومعرفة بعض آلات اللعب والمسكرات ، ومعرفته الأيمان ، والأمان ، والوصايا الدينية ، وآداب الكتاب ، وفيما يلى بيان تلك الأمور :

١ ــ حفظ كتاب الله :

رأى القلقشندى أن مما يحتاج إليه الكاتب « حفظ كتاب الله العزيز ، مع إدامة قراءته ، وملازمة درسه ، وتدبر معانيه حتى لا يزال مصورا فى فكره دائرا على لسانه ، ممثلا فى قلبه ليكون ذاكرا له فى كلامه ، وكل ما يرد عليه من الوقائع التى يحتاج إلى الاستشهاد به فيها ويفتقر إلى قيام قواطعِ الأدلة عليها (فلله الحجة البالغة) »[١] .

وكفى بذلك معينا له على قصده ومغنيا له عن غيره ، قال الله تعالى : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء »[٢] وقال عز شأنه : « تبيانا لكل شىء »[٣] . وكان بعضهم يقول : لو ضاع لى عقال لوجدته فى كتاب الله . وقد أخرج بعضهم من الكتاب العزيز شواهد لكل ما يدور بين الناس فى محاوراتهم ومخاطباتهم مع قصور كل لفظ ومعنى عنه ، وعجز الإنس والجن عن الإتيان بسورة من مثله[٤] .

(١) الأنعام/ ١٤٩ .

(٢) الأنعام/ ٣٨ .

(٣) النحل/ ٨٩ .

(٤) قال تعالى : « أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين » الطور/ ٢٣ ــ ٢٤ فهنا قال : « فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين » فى أنه تقوله ، فإنه إذا كان محمد ﷺ قادرا على أن يتكلم بما يتكلم به من نظم ونثر كان هذا ممكنا للناس الذين هم من جنسه فأمكن الناس أن يأتوا بمثله . ثم تحداهم بعشر سور مثله فقال تعالى : « أم يقولون أفتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وأدعوا من أستطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » هود/ ١٣ ، ثم تحداهم بسورة

فقد حكى أن سائلا سأل بعض العلماء أين تجد فى كتاب الله معنى قولهم « الجار قبل الدار ؟ » قال : فى قوله تعالى : « وضرب الله مثلا للذين آمنوا إمرأة فرعون إذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة »[١] فطلبت الجار قبل الدار[٢] .

وقد أختلف العلماء فى جواز الاستشهاد بالقرآن الكريم فى المكاتبات ونحوها : « فذهب أكثر العلماء إلى جواز ذلك مالم يحل عن لفظه ولم يتغير معناه ، فقد ثبت فى الصحيح أن رسول الله ﷺ كتب فى كتابه إلى هرقل « قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون »[٣] .

= واحدة منه فقال عز شأنه : « وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين . أم يقولون أفتراه قل فاتوا بسورة مثله وأدعوا من أستطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » يونس/٣٧ فطلب منهم أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، هم وكل من أستطاعوا من دون الله ، ثم تحداهم بسورة واحدة ومن استطاعوا ، قال : « فإن لم يستجيبوا لكم فأعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو » هود/١٤ وهذا أصل دعوته وهو الشهادة بأن محمدا رسول الله ﷺ ، وقال : « لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا » النساء/١٦٦ . فالله يعلم أنه منزل ، ونفى عنه الافتراء ، وهذا التحدى كان بمكة فإن هذه السور مكية . ثم أعاد التحدى فى المدينة فقال : « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وأدعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » البقرة/٢٣ — ٢٤ ، فذكر أمرين : **أحدهما** : إذا لم تفعلوا فقد علمتم أنه حق فخافوا الله أن تكذبوه فيحيق بكم العذاب الذى وعد به المكذبين . **والثانى** : قوله « ولن تفعلوا » ولن لنفى المستقبل فثبت بالخبر أنهم فيما يستقبل من الزمان لا يأتون بسورة من مثله ، كما أخبر قبل ذلك وأمره أن يقول « قل لئن أجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » الإسراء/٨٨ .

(١) التحريم/١١ .
(٢) صبح الأعشى جـ ١/١٨٩ .
(٣) آل عمران/٦٤ — والحديث أخرجه البخارى فى الايمان جـ ١ ص ٥ ، مسلم فى الجهاد باب كتاب النبى ﷺ إلى هرقل ، أبو داود فى الاستئذان ، باب كيف يكتب إلى الذمى ، الترمذى فى الاستئذان ، باب ما جاء كيف يكتب لأهل الشرك وقال حديث حسن صحيح .

وكتب أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى عهده لعمر بن الخطاب رضى الله عنه « ولكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم »[1] و « سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون »[2] .

وكتب على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى آخر كتاب إلى معاوية « وقد علمت مواقع سيوفنا فى حدك وخالك وأخيك » وما هى من الظالمين ببعيد »[3] .

ولم يزل العلماء وفضلاء الكتاب يستشهدون بالقرآن الكريم فى مكاتباتهم فى القديم والحديث من غير نكير ، وذلك كله دليل الجواز[4] .

وذهب بعضهم إلى أن كل ما أراد الله به نفسه لا يجوز الاستشهاد به إلا فيما يضاف إلى الله سبحانه مثل قوله تعالى « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد »[5] .

وقوله : « بلى ورسلنا لديهم يكتبون »[6] ونحو ذلك مما يقتضيه الأدب مع الله ، فأما تغيير شىء من اللفظ أو احالة معنى عما أريد به فلا يجوز .

وبدهى — وهو الذى تطمئن إليه النفس — فإنه إذا ضمنت الآيات الكريمة فى أماكنها اللائقة بها ومواضعها المناسبة لها ، فلا شبهة فيما يصير للكلام من الفخامة والجزالة والرونق .

ومن شرف الاستشهاد بالقرآن الكريم : إقامة الحجة ، وقطع النزاع وإذعان الخصم ، وقد روى أن الحجاج قال لبعض العلماء : أنت تزعم أن الحسين من ذرية رسول الله ﷺ فأتنى على ذلك بشاهد من كتاب الله وإلا قتلتك ، فقرأ عليه : « ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى

(١) النور/١١ .
(٢) الشعراء/٢٢٧ .
(٣) هود/٨٣ .
(٤) صبح الأعشى حـ ١/١٨٩ — ١٩٠ .
(٥) ق/١٦ .
(٦) الزخرف/٨٠ .

وهارون وكذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى »[1] فعيسى عليه السلام ابن بنته ، فأسكت الحجاج .

يقول القلقشندى : « إن الآية الواحدة تقوم فى بلوغ الغرض ، وتوفيه المقاصد ما لا تقوم به الكتب المطولة والأدلة القاطعة »[2] .

كيفية استعمال آيات القرآن الكريم :

أن تضمين الكلام بعض آى القرآن الكريم ينقسم إلى قسمين : الاستشهاد والاقتباس وفيما يلى بيان ذلك :

(أ) الاستشهاد بالقرآن الكريم :

وهو أقلهما وقوعا فى الكلام ودورانا فى الاستعمال — وهو أن يضمن الكلام شيئا من القرآن الكريم وينبه عليه مثل قول الحريرى فى مقاماته : فقلت وأنت أصدق القائلين « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين »[3] .

(ب) الاقتباس :

وهو أن يضمن الكلام شيئا من القرآن ولا ينبه عليه مثل قول ابن نباته السعدى فى بعض خطبه : فيا أيها الغفلة المطرقون أما أنتم بهذا الحديث مصدقون ، مالكم لا تسمعون فورب السماء والأرض أنه لحق مثل ما أنكم تنطقون[4] .

والطريق فى استنباط المعانى من القرآن الكريم واستعمال الآيات فى خلال الكلام أن تعمد إلى سورة من القرآن الكريم وتأخذ فى تلاوتها وكلما مر بك معنى أثبته فى ورقة مفردة حتى تنتهى إلى آخرها ، ثم تأخذ فى استعمال تلك المعانى ما لم يظهر لك فى المرة التى قبلها ، حتى أن الآية الواحدة لتستعمل على عدة وجوه : فيورده الناثر إلى معنى ، ثم ينقله إلى معنى آخر ، كما وقع للوزير

(1) الأنعام/٨٥ .
(2) صبح الأعشى حـ ١/١٩١ .
(3) الأنبياء/١٢٧ .
(4) الذاريات/٢٣ .

ضياء الدين بن الأثير فى قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام « إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين »[1] فقال فى دعاء فى صدر كتاب من الحضرة السامية أحسن الله أثرها وأعلى خطرها ، وقضى من العليا وطرها ، وأظهر على يديها آيات المكارم وسورها ، وأسجد لها كواكب السيادة وشمسها وقمرها .

ثم أبرزه فى معنى آخر فقال : أكرم النعم ماكان فيه ذكرى للعابدين وتقدمه أنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين .

ثم نقله إلى معنى آخر فقال فى تقليد يكتب من ديوان الخلافة : فليزدد إعجابا بما نالته مواطن قدامه ، ولينظر إلى سجود الكواكب فى يقظته لا فى منامه[2] .

الأمثال القرآنية :

إن كاتب الانشاء فى حاجة إلى حفظ أمثال العرب لأنها وشى الكلام وجوهر اللفظ ، وحلى المعانى ، والتى تخيرتها العرب وقدمتها العجم ، ونطق بها فى كل زمان على كل لسان ، فهى أبقى من الشعر ، وأشرف من الخطابة ، لم يسر شيء كسيرها ، ولا عم عمومها ، حتى قالوا : أسير من مثل ، قال الشاعر :

ما أنت إلا مثل سائر . . يعرفه الجاهل والخابر

وقد ضرب الله عز وجل الأمثال فى كتابه العزيز فى غير موضع من القرآن الكريم ، فقال : « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون »[3] .

والأمثال الواردة نثرا تنقسم إلى قسمين :

الأول : أن يصرح بذكر المثل فى الكلام ، وعلى ذلك أكثر أمثال القرآن

(١) يوسف/٤ .
(٢) صبح الأعشى حـ ١/١٩٦ .
(٣) العنكبوت/٤٣ .

الكريم والسنة النبوية الشريفة . فما ورد من ذلك فى القرآن الكريم قوله تعالى : « ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون . ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار »[1] وقوله جلت قدرته : « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون »[2] .

مما ورد فى السنة النبوية الشريفة قوله ﷺ : « ضرب الله صراطا مستقيما وعلى جنبى الصراط وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى رأس الصراط داع يقول أدخلوا الصراط ولا تعوجوا »[3] .

القسم الثانى : أن لا يصرح بذكر المثل فى القرآن بل تقع الإشارة اليه بكلام يسير ، وعليه ورد بعض آى القرآن ، فقوله تعالى : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون »[4] ، [5] .

ألفاظ القرآن الكريم :

إن الألفاظ من المعانى بمنزلة الثياب من الأبدان ولا خفاء فى أن الوجه الصبيح يزداد حسنا بالحلل الفاخرة والملابس البهية ، والقبيح يزول عنه بذلك بعض القبح ، كما أن الحسن ينقص حسنه برثاثة ثيابه وعدم بهجة ملبوسه ، والقبيح يزداد قبحا إلى قبحه بمثل ذلك .

(١) ابراهيم / ٢٤ — ٢٦ .

(٢) النحل / ١١٢ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد فى المسند حـ ٤ ص ١٨٢ و ١٨٣ طبعة الميمنية عن النواس بن سمعان وبقية الحديث « وداع يدعو فوق الصراط فإذا أراد الانسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال : ويحك لا تفتحه فإنك — إن تفتحه — تلجه » . فالصراط : الإسلام والسوران : حدود الله — عز وجل ، والأبواب المفتحة محارم الله ، وذلك الداعى على رأس الصراط كتاب الله ، والداعى من فوقه : واعظ الله عز وجل من قلب كل مسلم .

(٤) الزمر / ٩ .

(٥) ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر مختصر صبح الأعشى كلاهما للقلقشندى حـ ١ ص ٩٠ طبعة ١٣٢٤ هـ/١٩٠٦ م وصبح الأعشى حـ ١ / ٢٩٦ .

ولما كانت الألفاظ عنوان المعانى ، وطريقها إلى إظهار أغراضها أصلحوها وزينوها وبالغوا فى تحسينها ليكون ذلك أوقع لها فى النفس وأذهب بها فى الدلالة على القصد[1] .

والذى ينبغى أن يستعمل فى النظم والنثر من الألفاظ هو الرائق البهج الذى تقبله النفس ويميل إليه الطبع وهو الفصيح من الألفاظ دون غيره[2] .

ولا يوصف اللفظ المفرد بالحسن حتى يتصف بعدة صفات منها :

١ ــ سلامته من الغرابة عند أهل اللسن من العرب .
٢ ــ ألا يكون مبتذلا عاميا ولا سوقيا ساقطا .
٣ ــ ألا يكون على خلاف القانون المستنبط من تتبع ألفاظ اللغة العربية
وفيما يلى بيان تلك الصفات :

١ ــ سلامته من الغرابة عند أهل اللسن من العرب كقريش وغيرهم ... لقلة استعماله عندهم ليس بفصيح بخلاف ما كان غير غريب عندهم ، ثم ص... غريبا بالنسبة لمن بعدهم فإنه فصيح ، وإلا لزم أن يكون جميع ما فى ك... غريب القرآن والحديث غير فصيح ، وهو ممتنع[3] .

وقد جعل صاحب المثل السائر الألفاظ على عدة أصناف هى :

الأول : المألوف المتداول الاستعمال عند كل قوم فى كل زمان .
الثانى : الغريب المتوحش عند قوم فى كل زمن .
الثالث : المتوحش فى زمن دون زمن .

وفيما يلى بيان تلك الأصناف :

الأول : المألوف المتداول الاستعمال عند كل قوم فى كل زمان :

وهو ما تداول استعماله الأول والآخر وهلم جرا إلى زماننا كالسماء

(١) صبح الأعشى حـ ٢/١٩٢ .
(٢) السابق حـ ٢/٢١٢ .
(٣) صبح الأعشى حـ ٢/٢١٥ .

والأرض والليل والنهار ، والحر والبرد ، وما أشبه ذلك ، وهو أحسن الألفاظ وأعذبها وأعلاها درجة ، وأغلاها قيمة إذ أحسن اللفظ ماكان مألوفا متداولا . وأنت إذا نظرت إلى كتاب الله العزيز الذى هو أفصح الكلام وجدته سهلا سلسا ، وما تضمنه من الكلمات الغريبة[1] يسير جدا ، مع أنه قد أنزل فى زمن العرب العرب العرباء ، وكفى بالقرآن قدوة . وقد قال النبى ﷺ « ما أنزل فى التوراة ولا فى الإنجيل مثل أم القرآن وهى السبع المثانى »[2] يريد فاتحة الكتاب .. وإذا نظرت إلى ما أشتملت عليه الألفاظ وجدتها سهلة وقريبة يفهمها كل أحد حتى صبيان المكاتب ، وعوام السوقة ، وإن لم يفهموا ما تحتها من أسرار القصاصة والبلاغة ، فإن أحسن الكلام ما عرف الخاصة فضله ، وفهم العامة معناه .

وهكذا فلتكن الألفاظ المستعملة فى سهولة فهمها وقرب متناولها والمقتدى بألفاظ لقرآن يكتفى بها من غيرها من جميع الألفاظ المنثورة والمنظومة ، وقد كانت العرب الأول فى الزمن القديم تتحاشى اللفظ القريب فى نظمها ونثرها ، وتميل إلى السهولة وتستند به[3] .

الثانى : الغريب المتوحش عند قوم فى كل زمن :

وهو مالم يكن متداول الاستعمال فى الزمن الأول ولا ما بعده ، بل كان مرفوضا عند العرب فمن بعدهم ، ويسمى « الوحشى » ، نسبة إلى الوحش لنفاره ، و« الوحشى » نسبة إلى الحوش ، وهى النفار ويقال هى بلاد الجن وراء رمل بيرين حيث لا يسكن أحد من الناس .

(١) اللفظة الغريبة هاهنا هى التى تكون حسنة مستغربة فى التأويل ، بحيث لا يتساوى فى العلم بها أهلها وسائر الناس ، وجملة ما عدوه من ذلك فى القرآن الكريم كله سبعمائة لفظة ، ومنشأ الغرابة فيما عدده من الغريب أن يكون ذلك من لغات متفرقة أو تكون مستعملة على وجه من وجوه الوضع يخرجها مخرج الغريب كالظلم والكفر .. الخ .. أو يكون سياق الألفاظ قد ولى بالقرنية على معنى معين غير الذى يفهم من ذات الألفاظ (ينظر إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعى ص ٧١ — ٧٢ .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) صبح الأعشى حـ ٢/٢١٥ — ٢١٦ .

قال فى المثل السائر والناس فى قبح استعماله سواء لا يختلف فيه عربى ولا باد ولا قدوى متحضر ، وليس وراءه فى القبح درجة ، وهو ما مجه سمعك ، وبنا عنه لسانك وثقل عليك النطق به .

ومنه ما يعاب استعماله فى النظم والنثر ، ومثل له بلفظ « جحيش » من قول تأبط شرا :

يَظلُّ بَمْومَاةٍ ويُمْسِى بغيرها جحيشاً ويَعْرَ وْرِى ظُهورَ المسالك

فإن لفظة « جحيش » من الألفاظ المنكرة القبيحة[1] .

ومنه ما يعاب استعماله بصيغة دون صيغة : وهذا الضرب — كما قال فى المثل السائر — من هذه الصناعة بمنزلة عليه ومكانة شريفة وجل الأسرار اللفظية منوط به ، وقد أستخرجت فيه أشياء لم أسبق إليها فإن اللفظة الواحدة قد تتنقل من هيئة إلى هيئة ، أو من صفة إلى صفة ، فتنتقل من القبح إلى الحسن ، وبالعكس فيصير القبح حسنا ، والحسن قبحا ، والمرجع فى ذلك إلى الذوق الصحيح والطبع السليم ، وقد نبه منه القلقشندى على عدة أنماط نذكر منها ما يلى :

النمط الأول : ما يترجح فيه فعل الأمر والمستقبل فى الاستعمال على الفعل الماضى .

والثانى : ما يترجح فيه الإفراد فى الاستعمال على الجمع ..

والثالث : ما يترجح فيه الجمع فى الاستعمال على الإفراد ..

والرابع : ما يترجح فيه أحد صور الوزن الواحد بأختلافه بالحركة والسكون .

وفيما يلى بيان تلك الأنماط :

النمط الأول : ما يترجح فيه فعل الأمر والمستقبل فى الاستعمال على الفعل الماضى وذلك فى مثل لفظة « ودع » وهى فعل ماض ثلاثى لا ثقل بهما على

(1) صبح الأعشى جـ ٢ ص ٢٢٣ — ٢٢٤ .

اللسان ، ومع ذلك فإنها لا تستعمل على هيئتها الماضية إلا جاءت غير مستحسنة ، فإذا استعملت على صيغة الأمر أو الاستقبال جاءت حسنة بهجة رائعة ، أما على صيغة الأمر فمثل فى قوله تعالى « ودع أذاهم »[1] ولم ترد فى القرآن الكريم إلا على هذه الصيغة .

وأما على صيغة الاستقبال فكقول النبى ﷺ قد واصل فى شهر رمضان ، فواصل معه قول فقال : « لو مد لنا الشهر لواصلنا وصالا يدع له المتعمقون تعمقهم »[2] .

وأما الماضى من هذه اللفظة فلم يستعمل إلا شاذا ، ولا حسن له ، كقول أبى الفكاهية :

شيئا من الثروة التى جمعوا	أثر فلم يدخلوا قبورهم
أعظم نفعا من الذى ودعوا	وكان ما قدموا لأنفسهم

فلم تقع فمن كلامه من الحسن موقعا ، ولا أصابت من الطلاوة غرضا وهذه لفظة واحدة لم يتغير شىء من أحوالها سوى أنها نقلت من صيغة إلى صيغة .

وكذلك لفظة « **وذر** » فإنها لا تستعمل ماضية ، وتستعمل على صيغة الأمر ، كقوله تعالى « وذرهم يأكلوا ويتمتعوا »[3] وتستعمل مستقبلة أيضا كقوله تعالى « سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقى ولا تذر »[4] . ولم ترد فى القرآن الكريم إلا على هاتين الصيغتين وكذلك فى غير القرآن الكريم من فصيح الكلام ، أما فى حالة المعنى فإنها أقبح من لفظة « **ودع** » وقد استعملت ماضية مع شذود ، وهذه لم تستعمل أصلا[5] .

---

(١) الأحزاب/٤٨ .

(٢) مسلم فى الصيام ، باب النهى عن الوصال .

(٣) الحجر/٣ .

(٤) المدثر/٢٦ — ٢٨ .

(٥) صبح الأعشى جـ ٢/٢٢٩ — ٢٣٠ .

النمط الثانى : ما يترجح فيه الإفراد فى الاستعمال على الجمع . وذلك كلفظة « **الأرض** » فإنها لم ترد فى القرآن الكريم إلا مفردة سواء أفردت بالذكر عن السماء ، كما فى قوله تعالى « والله أنبتكم من الأرض نباتا »(١) وقرنت بالسماء مفردة ، كما فى قوله تعالى « ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه »(٢) .

أو مجموعة كما فى قوله تعالى : « الحمد لله الذى خلق السموات والأرض »(٣) ولو كان استعمالها بلفظ الجمع مستحسنا لكان هذا الموضع وشبهه به أليق لمقابلة الجمع فى السموات ، ولما أراد أن يأتى بها مجموعة قال : « الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن »(٤) .

وكذلك لفظة « **طيف** » ، فى ذكر طيف الخيال ، فإنها تجمع على طيوف ، وهى فى حالة الإفراد من أرق الألفاظ وألطفها ، فإذا جمعت زالت عنها تلك الطلاوة ، وفارقتها تلك البهجة ، ولذلك وردت فى القرآن الكريم بلفظ الإفراد قال الله تعالى : « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون »(٥) .

النمط الثالث : ما يترجح فيه الجمع فى الاستعمال على الإفراد كلفظة « **اللب** » الذى هو العقل ، فإن استعمالها بصيغة الجمع فى غاية الحسن والبهجة والطلاوة ، وقد ورد بهذه الصيغة فى غير موضع القرآن الكريم ، كقوله تعالى « وليتذكر أولوا الألباب »(٦) وما يذكر إلا أولو الألباب »(٧) إلى غير ذلك من الآيات الواردة فيها ذلك بصيغة الجمع ، أما فى حالة الإفراد فإنها

---

(١) نوح/١٧ .
(٢) الحج/٦٥ .
(٣) الأنعام/١ .
(٤) الطلاق/١٢ .
(٥) الأعراف/٢٠١ .
(٦) ابراهيم/٥٢ .
(٧) البقرة/٢٦٩ .

قليلة الاستعمال مع أنها لفظة ثلاثية خفيفة على النطق ، بعيدة المخارج ليست بمستقبلة ولا مكروهة .

قال فى المثل السائر : وإذا تأملت القرآن الكريم ودققت النظر فى رموزه وأسراره وجدت هذه اللفظة قد روعى فيها الجمع دون الأفراد فإن أضيفت أو أضيف إليها حسن استعمالها ، وساغ فى طريق الفصاحة ايرادها . أما إضافتها فلقول النبى ﷺ فى ذكر النساء : « ما رأيت ناقصات عقل ودين أذهب للب الحازم من إحداكن يامعشر النساء »[1] . وأما الإضافة إليها فكقول جرير :

إن العيونَ التى فى طرفها حَوَرٌ   قَتلْنتا ثم لم يُحيينَ قَتْلانَا
يَصْرَعْنَ ذا اللُّبِ حتى لا حرارة به   وهُنَّ أضعف خلق اللهِ أركانا[2]

وكذلك لفظة « كوب » فإنها لم ترد فى القرآن الكريم إلا مجموعة ، وهى وإن لم تكن مستقيمة فى حالة الإفراد فإن الجمع فيها أحسن ، وأنظر إلى ماعليها من الطلاوة والمائية فى قوله تعالى « يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين »[3] .

وعلى هذا النحو لفظ « **رجا** » بالقصر ، ومعناه الجانب ، فإنها قد وردت فى القرآن بلفظ الجمع فى قوله تعالى : « والملك على أرجائها »[4] أى جوانبها ، ولم تستعمل مفردة لأن الجمع يكسبها من الحسن مالم يوجد لها حالة الإفراد ، فإن أضيفت حالة الإفراد كرجا النبى ونحوه حسنت فى حالة الجمع[5] .

وليس كذلك لفظ « **الصوف والأصواف** » ، وإن كان لم يرد فى القرآن الكريم إلا مجموعا حيث قال تعالى « وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الحيض ، باب ترك الحائض الصوم « وبقية الحديث » قلن وما نقصان ديننا وعقلنا يارسول الله ؟ قال : أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ؟ قلن : بلى قال . فذلك من نقصان عقلها . أليس إذا حاضت لم تصل قلن : بلى ، قال : فذلك من نقصان دينها .

(٢) صبح الأعشى حـ ٢/٢٣٢ .

(٣) سورة الواقعة/١٧ ــ ١٨ .

(٤) سورة الحاقة/١٨ .

(٥) صبح الأعشى حـ ٢/٢٣٢ .

تستخفونها يوم ظعنكم ويوم أقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين »[1] لأن لفظ الصوف مستحسن فى حالة الإفراد كما فى حالة الجمع . وإنما قبح ذكره فى قول أبى تمام :

كانوا بُرودَ زمانهم فتصدعوا   فكأنما ليس الزمان الصوفا

لأنها جاءت مجازية فى نسبتها إلى الزمان[2] .

النمط الرابع : ما يترجح فيه أحد صور الوزن الواحد باختلافه بالحركة والسكون كلفظ الثلث والربع إلى العشر ، فإنها فى حالة سكون الوسط كلها حسنة سائغة الاستعمال ، فإذا تحركت أوساطها فقلت : ثلث ، وربع ، وخمس ، وكذلك إلى عشر ، فإن الحسن من ذلك جميعه ثلاثة وهى الثلث والخمس ، والسدس ، أما الربع ، والسبع والثمن والتسع ، والعشر فليست كذلك فى حسنه .

قلت : إنما يظهر ذلك فى السبع والتسع ، والعشر خاصة فإن الثقل ظاهر فيها ، أما الربع والثمن فإنهما فى الحسن مع تحريك الوسط كالثلث ، والخمس ، والسدس ، وقد ورد القرآن الكريم بتحريك الوسط فيهما فى قوله تعالى « ولكم نصف ماترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهم ولد فلكم الربع مما تركْن »[3] وقوله « ولهم الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم »[4] وأى حسن وفصاحة بعد وروده فى القرآن الكريم[5] .

الثالث : المتوحش فى زمن دون زمن :

وهو ماكان متداول الاستعمال فى زمن العرب ثم رفض وترك بعد ذلك .

(١) سورة النحل/ ٨٠ .
(٢) صبح الأعشى حـ ٢/ ٢٣٣ .
(٣) النساء/ ١٢ .
(٤) النساء/ ١٢ .
(٥) صبح الأعشى حـ ٢/ ٢٣٥ .

وبهذا لا يعاب استعماله على العرب ، لأنه لم يكن عندهم وحشيا ، ولا لديهم غريبا . وإنما يعاب استعماله على غيرهم ممن قصر فهمهم عنه ، وقلت مفرقهم به ، وقد كان كلام العرب مشحونا به في نظمهم ونثرهم ، دائرا على ألسنتهم في مخاطباتهم ومحاوراتهم ، غير معيب ، ولا ملوم عليه .

ومن ذلك قول بعض الأعراب في وصف إبل :

« كوم تهارز ، مكد خناجر ، عظام الخناجر ، سباط المشافر ، أجرافها رغاب ، وأعطائها رحاب ، تمنع من البهم ، وتبرك للجمم ، يريد بالكوم جمع « كوماء » وهى الناقة العظيمة السنام — والبهارز جمع بهرزه ، وهى الناقة العظيمة . والمكد : جمع مكود ، وهى الناقة الغزيرة اللبن الخناجر : جمع خنجور ، وهى بمعنى المكود أيضا . والعظام الحناجر : غلاظ الأعناق ، وسباط المشافر أى مرسلات المشافر ، والمشفر من الناقة كالجملة من الفرس ، ونحو ذلك مما يجرى هذا المجرى وينخرط فى هذا السلك ، فهذا ومثله لا يعاب استعماله على العرب لأنه لم يكن عندهم غريبا ولا لديهم وحشيا بل شائعا بينهم ، دائرا على ألسنتهم فى نظمهم ونثرهم »[1] وأعظم شاهد لاستحسان استعماله عندهم ووضوح منهجه لديهم أن القرآن الكريم الذى هو أفصح كلام وأبهج لفظ قد اشتمل على ألفاظ من ذلك ، لقوله تعالى « ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب »[2] وقوله « إن الانسان لربه لكنود »[3] وما أشبه ذلك .

وهذه الألفاظ كانت مفهومة عند العرب ، معلومة المعانى عند المخاطبين لأن الله تعالى قد خاطبهم به وأمرهم فيه ونهاهم ، والخطاب بما لا تفهم بقصد ، وقد قال الله تعالى « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم »[4] وكذلك ورد فى الأخبار النبوية جملة مستكثرة من ذلك ، وفى المعبر عنها

(١) صبح الأعشى جـ ٢/٢٣٧ .
(٢) الصافات/٨ — ٩ .
(٣) العاديات/٦ .
(٤) ابراهيم/٤ .

بغريب الحديث كقوله ﷺ : « من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله نزة »[١] أى نقص ، وقيل تبعة ، وقيل حسرة ، وقوله ﷺ : « ليسترجع أحدكم حتى فى شسع نعله فإنها من المصائب »[٢] والشسع : أحد سيور النعل .

وقوله ﷺ « ألظوا بياذا الجلال والاكرام »[٣] أى ألزموا هذه الدعوة وأكثروا منها .

وقوله ﷺ فى الدعاء « واغسل حوبتى واسلل سخيمة قلبى »[٤] وأشباه ذلك .

أما غير العرب ممن تكلف ذلك وأتى به فى كلامه المعتاد فى مخاطباته أو نثره ونظمه فإنه يعاب عليه ذلك وينحط عن درجة الفصاحة ، لأن المقصود من الكلام إفهام المخاطب . وأنت إذا تأملت رسائل الكتاب ومكاتباتهم فى كل زمن علمت مراعاتهم لذلك فإن كتاب الدولة الأموية قد أتوا فى مكاتباتهم بالألفاظ الغريبة بكثرة ، فلما جاءت الدولة العباسية تنازلوا فى مكاتباتهم عن الغريب ، ثم تقهقر الحال فى ذلك إلى ماصار عليه الأمر الآن[٥] .

٢ — ألا يكون مبتذلا عاميا ، ولا سوقيا ساقطا :

مالم يغيره العامة عن موضعه اللغوى إلا أنها اختصت باستعماله دون الخاصة فابتذل لأجل ذلك وسخف لفظه ، وانحطت رتبته لاختصاص العامة بتداوله ، وصار من استعمله من الخاصة ملزما على الاتيان به لمشاركة العامة فيه ، وقد وقع ذلك لجماعة من فحول الشعراء فعيب عليهم[٦] .

---

(١) صبح الأعشى حـ ٢ /٢٤٧ .

(٢) أخرجه مسلم فى الجنائز ، باب تلقين الميت ، أبو داود فى الجنائز باب فى الاسترجاع .

(٣) أخرجه الترمذى فى الدعرات باب رقم ٩٩ وقال : هذا حديث غريب . ألظوا : ألظ بالشيء إذا لازمه وأبدوا عليه وأكثروا من التلفظ بـ « ياذا الجلال والاكرام » .

(٤) أخرجه للترمذى فى الدعوات/ ١٠٣ ، « ابن ماجه فى الدعاء » أحمد فى المسند حـ ١ /٢٢٧ .

(٥) ضوء الصبح المسفر وجنى الروح المثمر جـ ١ ص ١٠٩ .

(٦) صبح الأعشى حـ ٢ ص ٢٤٧ .

قال فى المثل السائر أن : لفظة « أجر » مبتذلة جدا .

وإذا شئت أن تعلم شيئا من سر الفصاحة التى تضمنها القرآن الكريم ، فأنظر إلى هذا الموضع ، فإنه لماجىء فيه بذكر « لم يذكر بلفظه » ، ولا بلفظ « القرمد » أيضا ، ولا بلفظ « الطوب » الذى هو لغة أهل معز ، فإن هذه الأسماء مبتذلة ، لكن ذكر فى القرآن على وجه آخر ، وهو قوله تعالى : « وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى فأوقد لى ياهامان على الطين فاجعل لى صرحا »[1] .

٣ ــ ألا يكون ــ اللفظ ــ على خلاف القانون المستنبط من تتبع ألفاظ اللغة العربية وماهو فى حكمها :

كوجوب الاعلال فى نحو قام والادغام فى نحو مد ، وغير ذلك مما يشتمل عليه علم التصريف ، فإنه لداخله الاذغام فى مد فقال : مدد لم يكن فصيحا ، وعلى حد ذلك جاء قول بعض العرب : « الحمد لله العلى الأجل » .

فإن قياس بابه الادغام فيقال : الأجل ، لاجتماع المثلين وتحرك الثانى ونحو ذلك مما يوجب الادغام .

فهذه الصفات هى عمود الفصاحة فى اللفظ المفرد ، وقطب دائرة مناعة فمتى اتصف بها وسلم من أضرارها كان بالفصاحة متسما ، وبالحسن والرونق مشتملا وللطبع ملائما وللسمع موافقا ، وفى عرى عن ذلك خرج عن طرائق الفصاحة[2] .

٤ ــ ألا يكون اللفظ متنافر الحروف ، فإن كانت حروفه متنافرة بحيث يثقل على اللسان ويعسر المنطق به فليس بفصيح . وهو على مرتبتين :

المرتبة الأولى : ما يخف الثل فيه بعض الخفة كلفظ « مستشزرات » فى قول الشاعة :

---

(١) القصص/٣٨ .

(٢) صبح الأعشى حـ ٢/٢٥٨ .

غدا يره مستشزرات إلى العلى تضل المدارى فى مثنى ومرسل

فالفداء الذوائب .

والمستشزات : بفتح الزاى بمعنى « مرفوعات » وبكسرها بمعنى مرتفعات .

والمدارى :

والمثنى والمرسل : صفتان للشعر .

وإنما وقع النقل فى (مستشزرات) لتوسط الشين وهى مهموسة رخوة بين التاء وهى مهموسة شديدة والزاى ، وهى مجهورة[1] . ويعسر النطق به .

وربما اعترض بعض الجهالة بأن الاستثقال فى لفظ « مستشزرات » إنما هو لطولها وليس كذلك ، فإنا لو حذفنا منها الألف والتاء وقلنا : مستشزر لكان ثقيلا أيضا ، لأن الشين قبلها تاء وبعدها زاى ، فثقل النطق بها ، نعم لو أبدلنا من الزاى راء ، ومن الراء فاء فقلنا : مستشرف لزال ذلك . ومن ثم ظهر لك أن اعتبار بعض العلماء تركيب الكلمة من أقل الأوزان تركيبا غير معتبر .

وقد ورد فى القرآن العظيم ألفاظ طوال لاشك فى حسنها وفصاحتها كقوله تعالى « فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم »[2] وقوله تعالى « ليستخلفنهم فى الأرض »[3] فإن لفظ « فسيكفيكهم » مركب من ثمانية أحرف . قال : والأصل فى هذا الباب أن الأصول لا تحسن إلا فى الثلاثى وفى بعض الرباعى ، كقولك عذب وعسجد ، فالأولى ثلاثية ، والثانية رباعية ، أما الخماس من الأصول فإنه قبيح كقولك : مهصلق ، وجحمرش ، وما جرى مجراهما ، ولهذا لا يوجد فى القرآن الكريم من الخماسى الأصول شىء إلا ما كان من اسم بنى عرب اسمه ، ولم يكن فى الأصل عربيا كابراهيم ، واسماعيل ونحوهما[4] .

---

(١) ضوء الصبح المسفر حـ ١/١٠٧ .

(٢) البقرة/١٣٧ .

(٣) النور/٥٥ .

(٤) صبح الأعشى حـ ٢/٢٤٧ ــ ٢٤٨ .

المرتبة الثانية :

ما تكون الكلمة فيه متناهية فى الثقل وعسر النطق بها كما تجلى أن أعرابيا سئل عن ناقة فقال : تركتها ترعى « الهنخع » بضم الخاء المعجمة والهاء ويقال : « الخعخع » بخاءين معجمتين ، ويقال « العهعخ » بضم العينين المهملتين ، ثم قيل أنه أنيث ، وقيل : شجر وقيل : كلمة مما لا أصل لها فى اللغة [1] .

---

(٤) ضوء الصبح المسفر حـ ١/١٠٧ .
وهذه النظرية من البلاغين محل بحث ونظر ، يقول الدكتور « رجاء عيد » ان الأمثلة التى أحصوها للتدليل على مزاعمهم مرفوضة . لأنهم أولا لم يقوموا باستقراء كامل يؤكد قضيتهم ومع ذلك فإن الاستقراء فى عصر يرتضى ذوقه شيئا لا يعنى أنه ينسحب على ذوق عصر آخر وثانيا فإن الحكم على مثل هذه الأمور مسألة ذوقية إذا راعينا مفهوم الذوق بصورته العامة . ولكى يكون الأمر واضحا بحيث لا تفهم بالرفض لمجرد الرفض ، نرد على هؤلاء البلاغيين بما ينقض أمثلتهم .
فعلى سبيل المثال فإن هؤلاء البلاغيين يرون أن لفظ (ودع) أى ترك ، لا يصلح فى الماضى ، ويصلح فى المضارع والأمر ، هذه مسألة يحددها فى رأينا ـــ العرض اللغوى العام ، وهو قابل للتغير ولا يستقر على حالة واحدة ، واللغة تجدد نفسها بنفسها . وما رأى البلاغيين فى أن بعض المفسرين يفسر قوله تعالى « ماودعك ربك وما قلى » الضحى/٣ بأن « ودع » بمعنى ترك والمعروف أن البلاغيين مؤمنون بأن القرآن هو الأفصح والأبلغ . ينظر فى البلاغة العربية ص ١٧ . وقد روى عن ابن عباس وابن الزبير رضى الله عنهم جميعا أنهما قرآه « ودعك » بالتخفيف ، ومعناه تركك ، قال الشاعر :

وثم ودعنا آل عمرو وعامر   فرائس أطراف المثقفة السمر

المثقفة والمثقف : الرمح ، ينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبى حـ ٢٠/٩٤ وأيضا الكشاف للألوسى حـ ٢٠/١٩٩ .
وما رأى البلاغيين فى حديث النبى ﷺ الذى يتوعد التاركين الجمعات « لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين » أخرجه مسلم فى الجمعه ، باب التغليظ فى ترك الجمعة ، والنسائى فى الجمعة ، باب التشديد فى التخلف عن الجمعة ..
وقول أبى الأسود :

سل أميرى ماالذى غيره   عن وصالى اليوم حتى ودعه

وما يزعمه البلاغيون فى أمثلة أخرى ـــ غير مجدية ـــ بأن هناك كلمات تصلح مفردة ، ولا تصلح جمعا لا حجة لهم فى هذا الزعم .. لقد كان الجاحظ موفقا حين عول على الألفاظ وسياقها العام ، فقال « ومتى شاكل اللفظ معناه وأعرب عن فحواه ، وخرج عن سماجة الاستكراه ، وسلم من فساد التكلف فإن قميناً بحسن الموقع وبانتفاع المستمع » البيان والبنين حـ ١ ص ٦٥ نقلا عن وفى البلاغة العربية ص ١٨ ، لم لا يكون قوله تعالى « فسيكفيكم الله » بحروف الكلمة المتتالية تأكيدا=

تركيب الكلام وترتيب الألفاظ

إن الألفاظ أجساد والمعانى أرواح ، وإنما تراها بعيون القلوب ، فإن قدمت منها مؤخرا وأخرت منها مقدما أفسدت الصورة وغيرت المعنى ، كما أنه لو حول رأس إلى موضع يد أو يد إلى موضع رأس أو رجل لتحولت الخلقة وتغيرت الحيلة .

وهذا الموضع يضل فى سلوك طريقة العلماء بصناعة صوغ الكلام من النظم والنثر ، فكيف الجهال الذين لم تنفخهم منه رائحة ومن الذى يؤتيه الله فطرة ناصعة يكاد زيتها يضىء ولا لم تمسسه نار ، حتى ينظر إلى إسراء ما يستعمله من الألفاظ فيضعها فى مواضعها ؟

وذلك أن تفاوت التفاضل لم يقع فى تركيب الألفاظ أكثر مما يقع فى مفراداتها ، إذ التركيب أعسر ، وأشق ، ألا ترى أن ألفاظ القرآن الكريم من حيث انفرادها قد استعملها العرب ومن بعدهم وهى مع ذلك تفوق جميع كلامهم وتعلو عليه ، وليس ذلك إلا لفضيلة التركيب .

وأنظر إلى قوله تعالى : « وقيل يأرض ابلعى ماءك وياسماء أقلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين »[1] .

وما اشتملت عليه هذه الآية من الحسن والطلاوة والرونق والمائية التى لايقدر البشر على الاتيبان بمثلها ، ولا يستطيع أفصح الناس وأبلغ العالم مضاهاتها ، على أن ألفاظها المفردة كثيرة الاستعمال دائرة على الألسنة ، فقوة

= نفسيا ينبع من تكرار هذه الحروف التى كأنها تأكيد متتابع بأن الله معه .. ولم لا يكون قوله تعالى « ليستخلفنهم فى الأرض » بما فيه من تأكيد بلام القسم ونون التوكيد يستتبع طول الكلمة كأن كل حرف يربطه بثانيه تأكيد يوعد الله الذى سوف يتحقق ..؟ ، وإذا نحن راعينا أن اللفظة تكتسب وجودها الفنى من خلال السياق ومن لون العاطفة التى تستدعى نوعية خاصة من الألفاظ ، فإننا لا نحتاج إلى تلك الشرائط التى أسرف البلاغيون فى تعدادها واحصائها . (فى البلاغة العربية ص ١٤) .

(١) سورة هود/٤٤ .

التركيب وحسن السبك هو الذى ظهر فيه الاعجاز وأفحمت البلاغة من حيث لاقت اللفظة الأولى بالثانية والثالثة بالرابعة ، وكذلك سائر الألفاظ إلى آخر الآية . ويشهد لذلك أنك لو أخذت منها من مكانها وأفردتها عن أخواتها لم تكن لابسة من الحسن والرونق ما لبسته فى موضعها من الآية ، ولكل كلمة مع صاحبتها مقام[1] .

قال ابن الأثير : ومن عجيب ذلك أنك ترى لفظتين تدلان على معنى واحد ، كلتاهما فى الاستعمال على وزن واحد وعدة واحدة ، إلا أنه لا يحسن استعمال هذه فى كل موضع تستعمل فيه هذه ، بل يفرق بينهما فى مواضع الشبك ، وهذا مما لا يدركه إلا من دقة فهمه ، وجل نظره . وإذا نظرت إلى قوله تعالى « ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه »[2] وقوله تعالى « رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محررا »[3] رأيت ذلك عيانا ، فإن الجوف والبطن بمعنى واحد وقد أستعمل الجوف فى الآية الأولى والبطن فى الآية الثانية ، ولم يستعمل أحدهما مكان الآخر .

وكذلك قوله تعالى « ما كذب الفؤاد ما رأى »[4] وقوله « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب وألقى السمع وهو شهيد »[5] فالقلب والفؤاد سواء فى الدلالة وإن كانا مختلفين فى الوزن ، ولم يستعمل أحدهما موضع الآخر[6] .

وأعجب من ذلك أنك ترى اللفظة الواحدة تروقك فى كلام ، ثم تراها فى كلام آخر فتكرهها ، وقد جاءت تقلة فى آى القرآن بهجة رائقة ، ثم جاءت تلك اللفظة بعينها فى كلام آخر فجاءت ركيكة نابية عن الذوق ، بعيدة عن استحسان ، فمن ذلك : لفظة « يؤذى » فإنها وردت فى قوله تعالى « إن ذلكم

---

(١) صبح الأعشى ص ٢ / ٢٦١ .
(٢) سورة الأحزاب / ٤ .
(٣) سورة آل عمران / ٣٥ .
(٤) سورة النجم / ١١ .
(٥) سورة ق / ٣٧ .
(٦) صبح الأعشى حـ ٢ / ٢٦٢ .

كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لا يستحى من الحق .. »[1] فجاءت فى غاية الحسن ونهاية طلاوتها ووردت فى قول الطيب :

تلذ له المروءة وهى تؤذى .. ومن يعشق يلذ له الغرام

فجاءت رنة مستهجنة ، وان كان البيت من أبيات المعانى الشريفة وذلك لقوة تركيبها فى الآية وضعف تركيبها فى البيت الشعر ، والسبب فى ذلك أن لفظة « تؤذى » إنما تحسن فى الكلام إذا كانت مندرجة مع ما يأتى بعدها متعلقة به كما فى الآية الكريمة حيث قال :

تلذ له المروءة وهى تؤذى

ثم استأنف كلاما آخر فقال :

ومن يعشق يلذ له الغرام

وعلى نهج لفظة يؤذى يرد لفظة (لى) فإنها لا تحسن إلا أن تكون متعلقة بما بعدها ، ولذلك لحقها هاء السكت فى قوله تعالى « ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه »[2] لما لم يكن بعدها ما تتعلق به ، بخلاف قوله : « إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة »[3] فإنها لم تلحقها هاء السكتة اكتفاء بما هى متعلقة به .

ومما يجرى مثل هذا المجرى لفظة « العمل » فإنها وردت فى قوله تعالى : « فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم »[4] فجاءت فى غالية فى غاية الحسن ، ووردت فى قول الفرزدق :

من عزه أحتجرت كليب عنده .. زربا كأنهم القمل

فجاءت منحطة نازلة ، وذلك لأنها قد جاءت فى الآية مندرجة فى ضمن

(١) الأحزاب/٥٣ .
(٢) سورة الحاقة/٢٨ ــ ٢٩ .
(٣) سورة ص/٢٣ .
(٤) سورة الأعراف/١٣٣ .

الكلام لم يقطع الكلام عندها ، وجاءت فى البيت قافية انقطع الكلام عندها .

وعلى الجملة فلا نزاع فى أن تركيب الألفاظ تعطى الكلام من القوة والضعف ما تزيد به قيمة الألفاظ الفصيحة ، ويرتفع به قدرها ، أو يحط مقدارها عن درجة الفصاحة والحسن إلى رتبة القبح والاستهجان[1] .

والفصاحة فى المركب بأن يتصف بعد فصاحة مفرداته بصفات :

١ ـــ أن يكون سليما من ضعف التأليف ، بأن يكون تأليف أجزاء الكلام على القانون النحوى ، وذلك كالأضمار قبل الذكر لفظا أو معنى ، نحو ضرب غلامه زيدا ، فإنه غير فصيح ، فإن فيه عومل الضمير إلى المتأخر لفظا ورتبة ، والجمهور على منعه ، وابن جوده بن جنى وابن مالك وغيرهما مستدلين بقول الشاعر :

جزى ربه عنى عدى بن حاتم . . جزاء الكلاب العاديات وقد فعل

وإذا كان الجمهور قد ذهبوا إلى أقتناعه فلا أقل أن يكون ضعيفا .

٢ ـــ سلامته من التعقيد . وهو أن لا يكون ظاهر الدلالة على المراد لخلل وهو على ضربين :

الضرب الأول : وهو الذى يسميه ابن الأثير « المعاطلة المعنوية » أن لا يكون ترتيب الألفاظ على وفق ترتيب المعانى بسبب تقديم أو تأخير أو إضمار أو غير ذلك مما يوجب صعوبة فهم المراد ، وإن كان ثابتا فى الكلام جاريا على القوانين بحيث يضم ـــ يغمض ـــ على السامع نظم السلام فلا يدرى كيف يصل إلى معناه . كقول الفرزدق بمدح ابراهيم بن هشام ابن اسماعيل المخزومى خال هشام بن عبد الملك :

وما مثله فى الناس إلا مملكا . . أبو أمه حى أبوه يقاربه

يريد إما مثل هذا الممدوح الذى هو ابراهيم بن هشام إلا ابن أخته هشام

(١) صبح الأعشى حـ ٢/٢٦٤ .

ففصل بنى « أبو أمه » وهو مبتدأ « وأبوه » وهو خبر بـ « حى » الأجنبى وفصل بين المبتدأ والخبر وهما « قتله وحى » بقوله « فى الناس إلا مملكا أبو أمه » وفصل بين « حى » وهو موصوف يقاربه بـ « أبوه » وهو أجنبى ، وقدم المستثنى على المستثنى منه فضعف وتعقد ، والخالى من التعقيد لا يكون فيه ما يخالف الأصل من تقديم أو تأخير أو إضمار أو غير ذلك إلا بقرينة ظاهرة لفظا أو معنى مع نكتة[1] بحسب اللغة .

الضرب الثانى : أن لا يكون ظاهر الدلالة على المراد لخلل فى انتقال الذهن فى المعنى الأول المفهوم بحسب اللغة إلى الثانى المقصود كقول العباس بن الأحنق :

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا .. وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

يرد أن من عادة الدهر معاكسة المقاصد : فأراد بعد الدار ليحصل القرب وتسكب عيناه الدموع فتجمد بحصول السرور بالملاقاة فكنى بسكب الدموع عن الكآبة والحزن وهو الظاهر من المعنى لأنه كثيرا ما يجعل دليلا عليه فيقال أبكانى الدهر ، وكنى بجمود العين عما يوجبه دوام التلاقى من الفرح فإن المتبادر إلى الذهن من جمود العين بخلها بالدموع عند ارادة البكاء حال الحزن بخلاف ما أراده الشاعر من التعبير به عن الفرح وإن كانت حالة جمود العين مشتركة بين بخل العين بالدموع عند إرادة البكاء ، وبين زمن السرور الذى لم يطلب فيه بكاء[2] .

وكذلك يجرى القول فى كل لفظ مشترك ينتقل الذهن فيه من أحد معنيين إلى الآخر إذا لم يكن هناك قرينة تصرفه إلى أحدهما ، كما صرح به الرمانى وغيره ، خصوصا إذا كان أحد المعنيين الذى يدل عليه اللفظ المشترك مستقبحا كما نبه عليه ابن الأثير فى الكلام على فصاحة اللفظ المفرد ألا ترى أن لفظة « التعزيز » مشتركة بين التعظيم والاكرام ، وبين الاهانة بسبب الخيانة التى لا

(١) السابق حـ ٢/٢٦٥ .

(٢) صبح الأعشى حـ ٢/٢٦٨ .

توجب الحد من الضرب وغيره ، والمعنيان ضدان فحيث وردت معها قرينة صرفتها إلى معنى التعظيم جاءت حسنة رائقة ، وكانت فى أعلى درجات الفصاحة ، وعلى نحو ذلك ورد قوله تعالى « لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه »[1] وقوله « فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه »[2] الآية . فإنه لما ورد معها قرينة التوقير بالآية الأولى ، وقرينة الايمان والنصر فى الآية الثانية زال اللبس وحسن الموقع ، ولو وردت مهملة بغير قرينة بارادة المعنى الحسن لسبق الفهم إلى المعنى القبيح ، كما لو قلت عزر القاضى فلانا ، وأنت تريد أنه عظمه ، فإنه لا يتبادر من ذلك إلى الفهم إلا أنه أهانه ، وعلى هذا النهج يجرى الحكم فى الحسن والقبح مع القرينة وعدمها[3] .

---

(1) الأعراف/١٥٧ .
(2) الأعراف/١٥٧ .
(3) صبح الأعشى حـ ٢/٢٦٩ .

٢ ـــ حفظ السنة النبوية الشريفة

رأى القلقشندى أنه لابد للكاتب من حفظ الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة ، والآثار المروية عن الصحابة رضوان الله عليهم ، وخصوصا فى السير ، والمغازى ، والأحكام وتأمل فصاحتها والنظر فى معرفة معانيها وغيرها ، وفقه مالابد من معرفته من أحكامها ، لينفق منها على سعة ، ويستشهد بكل شىء فى موضعه ، ويحتج بمكان الحجة ، ويستدل بموضع الدليل ، ويتعرف عن علم بموضوع اللفظ ومعناه ، ويبنى كلامه على أصل لايزلزل ، ويسوق مقاصده إلى سبيل لا يضل عنه ، فإن الدليل على المقصد إذا أستند إلى النص قويت فيه الحجة وسلم له الخصم وأذعن له المعاند ، والفصاحة والبلاغة إذا طلبت غايتها فإنها بعد كتاب الله فى كلام من أوتى جوامع الكلم وقال ﷺ : « أنا أفصح من نطق بالضاد »[١] .

وقد كان الصدر الأول من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم يحتجون بالحديث الشريف ويستدلون به فى مواطن الخلاف والنزاع ، فينقاد الجموع ويستسهل الصعب .

وينبغى للكاتب أن يحفظ الأحاديث المتعلقة بالفقه وأحكامه كقوله ﷺ : « الخراج بالضمان »[٢] وقوله ﷺ : « لا تجوز وصية لوارث إلا أن يشاء

---

(١) كشف الخفاء ، مكتبة التراث الاسلامى ، حـ ١ / ٢٣٢ ، حـ ٢ / ٨٥٠ ، الفوائد المجموعة ص ٣٢٧ ، أحياء علوم الدين حـ ٢ / ٣٨٤ .

(٢) أبو داود فى الاجارة ، باب فيمن اشترى عبدا فاستعمله ثم وجد به عيبا ، الترمذى فى البيوع ، باب ما جاء فيمن يشترى العبد ويستغله ، ثم يجد به عيبا ، النسائى فى البيوع ، باب الخراج بالضمان . **الخراج** : الدخل والمنفعة ، فإذا اشترى الرجل دابة فركبها أو عبدا فاستخدمه ثم وجد به عيبا فله أن يرد الرقبة ولا شىء عليه ، لأنها لو تلفت فيما بين مدة العقد والفسخ كانت من ضمان المشترى فوجب أن يكون الخراج من حقه . وقيل معناه : أنه لو مات العبد فى العمل كان من المبتاع ، ولم يكه له رجوع إلا فى قدر العيب أن ثبتت له به بينة ، وكذا الحكم فى الدابة .

الورثة »[٣] وقوله ﷺ : « لا قطع فى ثمر ولا كثر »[٢] .

وقوله ﷺ : « لا طلاق فى إغلاق »[٣] ، [٤] وكنهيه ﷺ — فى البيوع عن المخابرة والمحاقلة والمزابنة[٥] والمعاومة والثنيا[٦] وعن بيع مالم يقبض[٧] ، وعن بيعتين فى بيعه[٨] ، [٩] .

(١) البيهقى فى الوصايا ، باب نسخ الوصية للوالدين والأقربين ، مسانيد الجامع الكبير حـ ٢ / ٧٨١ ، وفيه عطاء الخراسانى غير قوى لم يدرك ابن عباس ولم يره .

(٢) أبو داود فى الحدود ، باب مالا قطع فيه ، الترمذى فى الحدود ، باب ما جاء لا قطع فى ثمر ولا كسر ، النسائى فى السرقة ، باب مالا قطع فيه ، ابن ماجه فى الحدود ، باب لا يقطع فى ثمر ولا كسر . الثمر ما كان على رؤوس النخل ويطلق على الثمار قبل أن تجز ، وقيل كل ما يسرع إليه الفساد . الكثر . جمار النخل وهو شحمه الذى وسطه ، وقيل الطلع وهو أول ما يبدو من ثمر النخل .

(٣) غلاق واغلاق : الاكراه .

(٤) أبو داود فى الطلاق ، باب فى الطلاق على غلط ، ابن ماجه فى الطلاق ، باب طلاق المكره .

(٥) لا يجوز بيع المزابنة وهى بيع الرطب فى رءوس النخل بالثمر إلا فى العرايا وهى أن يبيع الرطب فى رؤوس النخل خرصا بما يملكه كيلا . عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ : « نهى عن بيع المزابنة » قال : « والمزابنة أن يبيع الثمر بكيل إن زاد غلى ، وإن نقص فعليه » أخرجه البخارى فى البيوع باب بيع المزابنة .

والمحاقلة بيع الحب بالزرع ، والمخابرة : هى المزارعة ، والمزارعة جائزة شرعا فقد مضى الصدر الأول للاسلام ، وأصحاب الأرض المسلمين يزارعون عليها ، وهذا النهى كان فى أول الأمر لحاجة الناس وكون المهاجرين ليس لهم ، فأمر الأنصار بالتكرم بالمواساة ، وهذا كما نهوا عن أدخار لحوم الأضحية ثم يتصدقون بذلك ثم بعد توسع حال المسلمين زال الاحتياج فأبيح لهم المزارعة .

(٦) حظر الشارع بيع الثنيا فلا يجوز للمسلم أن يبيع شيئا ويستثنى بعضه إلا أن يكون ما يستثنيه معلوما ، عن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ : « نهى عن بيع الثنيا إلا أن يعلم » أخرجه البخارى فى كتاب الشرب والمساقاه ، باب الرجل يكون له ممر أو شرب فى حائط .

(٧) عن حكيم بن حزام قال : يارسول الله : « أنى أبيع بيوعا كثيرة فما يحل لى منها وما يحرم ؟ » قال : « لا تبع مالم تقبضه » وفى لفظ « لا تبع ما ليس عندك » أخرجه أبو داود فى التجارة ، باب الرجل يبيع ما ليس عنده .

(٨) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ : « نهى عن بيعتين فى بيعه » أخرجه أبو داود فى الاجارة ، باب فيمن باع بيعتين فى بيعه وإسناده صحيح وفسر الشافعى رضى الله عنه وغيره من العلماء البيعتين فى بيعه تفسيرين أحدهما أن يقول بعتك هذا بعشرة نقدا أو نسيئة والثانى أن يقول بعتك بمائة مثلا على أن تبيعنى دارك بكذا وكذا ، ولو قال بعتك بألف مثقال ذهبا وفضة ، فالبيع باطل لأنه لم يبين القدر من كل واحد منهما فكان باطلا . ينظر فى تفصيل ذلك نظرية الحظر عند الأصوليين والفقهاء ، للمؤلف ص ١٥٢ .

(٩) صبح الأعشى حـ ١ ص ٢٠٢ — ٢٠٣ .

والتحقيق أن حاجة الكاتب لا تختص بأحاديث الأحكام ومسائل الفقه ، بل تتعلق بما هو أعم من ذلك خصوصا الحكم والأمثال والسير وما أشبه ذلك مما يكثر الاستشهاد به فى الكتابة والاقتباس من معانيه[1] .

كيفية استعمال الأحاديث والآثار فى الكتابة :

أن أكثر الأحاديث النبوية الشريفة تدخل فى الاستعمال ، ولا يخرج منها إلا القليل النادر ، يقول ضياء الدين بن الأثير : دار بينى وبين بعض علماء الأدب فى هذا الأسلوب كلام فاستوعره وأستنكره ، وقال هذا لا يتهيأ إلا فى الشيء اليسير من الأخبار النبوية . فقلت : لا بل يتهيأ فى الأكثر منها ، فقال : ورد عن رسول الله ﷺ هذا الحديث وهو « لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا تمثال »[2] . فهذا أين يستعمل من المكاتبات ؟ .

فترويت فى قوله ترويا يسيرا ، ثم قلت : هذا يستعمل فى كتاب إلى ديوان الخلافة ، وأمليت عليه الكتاب ، فجاء هذا الحديث فى فصل منه وهو : « إذا أفاض الخادم فى وصف ولائه ، نكصت همم الأولياء عن مقامه ، وعلموا أنه أخذ الأمر بزمامه ، فقد أصبح وليس بقلبه سوى الولاء والايمان ، فهذا يظهر أثره فى طاعة السر ، وهذا فى طاعة الايمان ، وما عداهما فإن دخوله إلى قلبه من الأشياء المحظورة ، والملائكة لا تدخل بيتا فيه تمثال ولا صورة ، فليمول الديوان العزيز منه على سيف من سيوف الله يغرى ، بلا ضارب ، ويسرى بلا حامل ، ولا يسل إلا بيد حق ، ولا يغمد إلا فى ظهر باطل[3] .

---

(١) صبح الأعشى حـ ١/٢٠١ ، ٢٠٥ .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق ، باب إذا وقع الذباب فى شراب أحدكم ، وباب ذكر الملائكة ، وفى المغازى ، باب شهود بدرا ، وفى اللباس ، باب التصاوير ، مسلم فى اللباس والزينة ، باب تحريم تصوير صورة .

(٣) صبح الأعشى ط/٢٠٥

ثم تضمين الكلام شيئا من الأحاديث ينقسم إلى قسمين : الاستشهاد والاقتباس : فأما الاستشهاد : فهو أن يضمن الكلام شيئا من الحديث ، وينبه عليه كقول أبى اسحاق الصابىء فى وصية عهد من خليفة لسلطان : « وأن يقوم بما يعقده الرجل من عرض المسلمين ، فإن ذمته ذمة جميع المؤمنين » ، وقد قال رسول الله ﷺ : « المسلمون يسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم »[٤] .

وأما الاقتباسات : فهو أن يضمن الكلام شيئا من الحديث ولا ينبه عليه ، ومن ذلك ما ذكره الحريرى فى مقاماته من قوله : « وكتمان الفقر زهاده ، وانتظار الفرج بالصبر عباده » .

وقد أكثر ضياء الدين بن الأثير من هذا الباب : فمن ذلك قوله فى دعاء كتاب « أعاذ الله أيامه من الغير ، وبين بخطر مجده نقص كل خطر . وجعل ذكره زادا لكل راكب ، وأنسا لكل ثمر . ومنحه من فضله مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » . أخذ ذلك من قوله ﷺ فى وصف نعيم الجنة : « فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »[١] فنقله إلى الدعاء .

ومن ذلك ما ذكر فى وصف كريم وهو « فأغنى بجوده أغناء المطر ، وسما إلى المعالى سموا الشمس ، وسار فى منازلها مسير القمر ، ونتج من أبكار فضائله ما إذا أدعاه غيره قيل « للعاهر الحجر »[٢] أخذ ذلك من قول النبى ﷺ : « الولد للفراش وللعاهر الحجر »[٣]، [٤] .

---

(١) البخارى فى بدء الخلق ، باب ما جاء فى صفة الجنة ، وفى سورة السجدة .

(٢) صبح الأعشى حـ ١/٢٠٧ — ٢٠٨ .

(٣) البخارى فى الوصايا ، باب قول الوصى لوصيه : تعاهد ولدى ، وفى البيوع ، باب تفسير المشبهات ، باب شراء المملوك من الحربى وهبته وعتقه ، مسلم فى الرضاع ، باب الولد للفراش وتوقى الشبهات ، أبو داود فى الأقضية ، باب القضاء بالحاق الولد بأبيه .

(٤) العاهر : الزانى اسم فاعل من عهر الرجل المرأة إذا أتاها للفجور ، وعهرت هى وتعهرت إذا زنت ، والحجر : أى الخيبة ولا حق له فى الولد ، والعرب تقول فى حرمان الشخص : له الحجر وبقية التراب ونحو ذلك ولا يريدون إلا الخيبة .

٣ — معرفة حكم بعض الآلات

ينبغي أن يلم كاتب الانشاء بمعرفة بعض الآلات وحكمها مثل : النرد والشطرنج والمسكرات بجميع أنواعها وفيما يلي بيان ذلك :

(ا) آلات اللعب ، وهي عدة آلات :

النرد : بفتح النون وسكون الراء المهملة — وهو من حكم الفرس ، وضعه أردشير ابن بابك أول طبقة الأكاسرة من ملوكهم ، ولذلك قيل له نردشير ، وضعه مثالا للدنيا وأهلها ، فرتب الرقعة أثنى عشر بيتا بعدد شهور السنة ، والمهارك ثلاثين قطعة بعدد أيام الشهر ، وجعل الفصوص بمثابة الأفلاك ، دميها مثل تعلبها ودورانها والنقط فيها بعدد الكواكب السيارة ، كل وجهتين منها سبعة : وهي الشيش ويقابله إليك والبنج ويقابله الدو ، والجهاز ويقابله الثا ، وجعل ما يأتي به اللعب من النقوش كالقضاء والقدر تارة له وتارة عليه ، وهو يصرف المهارك على ما جاءت به النقوش إلا أنه إذا كان عنده حسن نظر عرف كيف يتسالى ، وكيف يجعل على الغلب وقهر خصمه ، مع الوقوف عندما حكمت به الفصوص ، كما هو مذهب الأشاعرة ، لكن قد وردت الشريعة بذمه ، قال ﷺ : « من لعب بالنردشير فكأنما غمس يده في لحم خنزير » وفي رواية « ملعون من لعب بالنردشير »[٥] يقول القلقشندي : « وفي تحريمه عند أصحابنا — الشافعية وجهان : أصحهما التحريم والثاني الكراهة ، وإذا قلنا حرام فالأصح أنه صغيرة ، وقيل كبيرة »[٦] .

الشطرنج : بفتح الشين المعجمة أو السين المهملة لغتان والأولى منهما أفصح ، وهو فارسي معرب وأصله بالفارسية « تتش رنك » ومعناه ستة ألوان وهي : الشاه ، والمراد بها الملك ، والفرزان ، والفيل ، والفرس ، والرخ ، والبيدق .

---

(١) مسلم في الشعر ، باب تحريم اللعب بالنردشير ، أبو داود في الأدب ، باب في النهى عن اللعب بالنرد ، الموطأ حـ ٢ / ٩٥٨ بلفظ « فقد عصى الله ورسوله » ، أحمد في المسند حـ ٢ / ٣٩٤ .
(٢) صبح الأعشى حـ ٢ / ١٤٨ — ١٤٩ ، والمسألة في كتاب المجموع جـ ٢ / ٣١ .

واللعب بالشطرنج مباح ، وقد ذكر الشيخ أبو اسحاق الشيرازى رحمه الله فى المهذب أن سعيد بن جبير الامام الكبير التابعى المشهور كان يلعب الشطرنج عن استدبار وممن يضرب به المثل الصولى .

ثم فى حله عند أصحابنا الشافعية ثلاثة أوجه : أصحها أنه مكروه ، والثانى أنه مباح ، والثالث أنه حرام ، وذلك ان اقترن به رهن من الجانبين أ‌ه أحدهما[1] .

---

(١) صبح الأعشى حـ ٢ / ١٥١ .

وكره اللعب بالشطرنج الامام الشافعى رضى الله عنه قال فى الأم : « واللعب بالشطرنج بغ‍ـ قمار — وإن كرهنا ذلك — أخف حالا ممن يرى نكاح المتعة وبيع الدرهم بالدرهمين وإتيان النسا‌ء فى أدبارهن » . المجموع حـ ٢٠ / ٣٦ .

وجملة ذلك أن اللعب بالشطرنج ينظر فيه : فإن كان على غير عوض ، ولا يشتغل به عن الصـ‍ـ فإنه لا يحرم ولكنه مكروه كراهة تنزيه ، والدليل على كراهته أن عليا كرم الله وجهه مر بـ‍ـ يلعبون الشطرنج فقال : « ما هـذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون » وروى عنه قوله : « اللا‍ـ بالشطرنج أكذب الناس يقول قتلت والله ما قتل » .

وقال الشافعى رضى الله عنه : « ولأنه ليس من أفعال المروءات والديانات ، وإنما يفعله من لا د‍ـ له ، فكره ، ولأنه يأتى بألفاظ لا حقيقة لها كقوله : مات الملك ، أكلت الفرس ، أكلت الفر‍ـ ولا يفسق ، ولا ترد به الشهادة عند الشافعية والمالكية .

وقال أبو حنيفة ترد به الشهادة ، وكذلك أفتى به ابن تيمية رحمه الله فى الفتاوى الكبرى وعلى ‍ـ حال فإن الشطرنج يعتبر من ألوان اللهو المعروفة ، وقد اختلف الفقهاء فى حكمه بين الإبـ‍ـ والكراهية ، واحتج المحرمون بأحاديث رووها عن النبى ﷺ ، ولكن نقاد الحديث رده‍ـ وأبطلوها وبينوا أن الشطرنج لم يظهر إلا فى زمن الصحابة فكل ما ورد من أحاديث باطل . ‍ـ الصحابة رضى الله عنهم فاختلفوا فى شأنه ، قال ابن عمر هو شر من النرد ، وقال على هو ‍ـ الميسر ، ولعله يقصد إذا اختلط بالقمار . وروى عن بعض الصحابة والتابعين أنهم أباحوه و‍ـ هؤلاء ابن عباس وأبو هريره وابن سيرين وهشام بن عروه وسعيد بن المسيب وهذا الذى ذهـ‍ـ إليه . هؤلاء الأعلام هو الذى نراه فالأصل الاباحة ولم يجىء نص على تحريمه ، على أن فيه فوق اللهو والتسلية رياضة للذهن وتدريبا للفكر ، وهو لذلك يخالف النرد ، ولذلك قالوا أن المعول فى النر‍ـ على الحظ فأشبه الأزلام ، والمعول فى الشطرنج على الحذق والتدبير فأشبه المسابقة بالسهام .

ويشترط لاباحته عدة شروط : — ألا تؤخر به صلاة عن وقتها ، فإن أكبر خطورته فى سرقة الأوقات — وألا يخالطه قمار — وأن يحفظ اللاعب لسانه حال اللعب من الفحش والخنا ، وردىء الكلام ، فإذا فرط فى هذه الثلاثة أو بعضها اتجه القول إلى التحريم .

وقال مالك وأحمد ، أنه حرام ، وروى فى تحريمه أحاديث ، أخرج الديلمى من حديث واثله مرفوعا « إن لله فى كل يوم ثلاثمائة نظرة ولا ينظر فيها إلى مضيع الوقت » .

(ب) المسكرات وآلاتها :

الخمر :

وهى ما اتخذ من عصير العنب خاصة ، وهى محرمة بنص القرآن ، قال الله تعالى : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه »[١] .

وأبو حنيفة يبيحها للتداوى والعطش . ولم تبح عند الشافعية إلا لاساغة لقمة والمنصوص خاصة .

وشاربها يحد بالاتفاق ، وحكم بنجاستها تغليظا فى الزجر عنها .
وأباح أبو حنيفة المثلث ، وهو ما ذهب ثلثاه وبقى ثلثه ، وقال بطهارته ، أما المتخذ من الزبيب والتمر وما شاكله فإنما يقال له نبيذ .

وقد ذهب الشافعى رضى الله عنه إلى القول بتنجيسه والحد بشربه ، وإن لم ينته منه إلى قدر يحصل منه سكر .

ومنع أبو حنيفة الحد فى القدر الذى لا يسكر[٢] .

---

(١) صبح الأعشى حـ ٢ / ١٥٢ . المائدة / ٩٠ .

(٢) أشترط أبو حنيفه وأبو يوسف رحمهما الله — فى الشرب عدة شروط وهى : ألا يكون القصد من الشرب اللهو والطرب ، فإن قصدهما يحرم تناوله ، وألا يغلب على ظن الشارب أنه مسكر ، وإلا كان حراما . وأن يقصد به التقوى على العبادة ، فالحرم عندهما من هذه الأشربة هو السكر على عكس الخمر فقليلها يدعو إلى كثيرها .
وقال جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة : إن الخمر اسم لكل مسكر لأنه مشتق من مخامرة العقل ، وهو موجود فى كل مسكر . وسميت بذلك لأنها تخمر العقل أى تغطيه وتستره ، فيكون بمعنى اسم الفاعل أى الساترة للعقل . وقيل لأنها تغطى حتى تشتد يقال : خمره أى غطاه فيكون بمعنى اسم المفعول . قال الخطابى : وزعم قوم أن العرب لا تعرف الخمر إلا من العنب . فيقال لهم : أن الصحابة الذين سموا غير المتخذ من العنب خمرا عرب فصحاء ، فلو لم يكن الاسم صحيحا لما أطلقوه . وعن أنس رضى الله عنه قال : كنت أسقى أبا عبيده ابن الجراح وأبى بن كعب وسهيل بن بيضاء ونفرا من أصحابه عند أبى طلحة ، وأنا أسقيهم حتى كاد الشرب أن يأخذ منهم فأتى آت من المسلمين فقال : أو ما شعرتم أن الخمر قد حرمت ، فما قالوا : حتى ننظر ونسأل ، فقالوا : يا أنس أكفء ما بقى فى إنائك قال : فوا الله ما عادوا فيها ، وما هى إلا الثمر والبسر ، وهى خمرهم يومئذ » أخرجه البخارى فى الأحكام ، باب أمر الوالى إذا وجه أميرين

أسماء الخمر :

للخمر أسماء كثيرة باعتبار الأحوال ، فتسمى الخمر لأنها تخمر العقل أى تغطيه والحميا لأنها تحمي الجسد ، والعقار لأنها تعاقر الدن ، أى تطول مدتها فيه إلى غير ذلك من الأسماء ، ومنها الابريق ، وهو الاناء الذى يصب فيه ، والابريق فى أصل اللغة ماله خرطوم يصب منه . ومنها القدح وهو إناء من زجاج ونحوه يصب فيه من الابريق المقدم ذكره . ومنها الكأس وهو القدح بعد امتلائه ، ولا يسمى كأسا إذا كان فارغا بل قدحا .

يقول القلقشندى والعجب ممن يذهب طيبانه فى حياته الدنيا ، ويفوز بما وصفه المرارة وطبعه إزاله العقل الذى به تدرك اللذة ، ويفوت النعيم المقيم فى دار البقاء ! فقد ورد أن « من شرب الخمر فى الدنيا لم يطعمها فى الآخرة »[١] .

قال العلماء : إذا رآها لا يشتهيها ولم تطلبها نفسه ، وقد وصف الله تعالى حال خمر الجنة بقوله : « يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لايصدعون عنها ولا ينزفون »[٢] ، وأتبع ذلك بكمال النعمة فى قوله « وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ، جزاء بما كانوا يعملون لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما »[٣] .

= أن يتطاوعا » مسلم فى الأشربة ، باب كل مسكر خمر .
وإنما حرم القليل وحد شاربه وإن كان لا يسكر حسما لمادة الفساد ، كما حرم تقبيل الأجنبية والخلوة بها لافضائه إلى الوطأ المحظور .
وقد يقال : أن القبلة لأحد فيها فكذلك القليل الذى لا يسكر من غير عصير العنب .
ونجاب عن ذلك بأن الحد فى القليل من الخمر ثابت عند جمهور الفقهاء ، ويؤيد ذلك الامام محمد رضى الله عنه من الحنفية ، وبالنسبة للقبلة ، فإنها مع حرمتها سدا للذريعة إلا أنه لم يثبت فيها حد ، ووجه الشبه بينهما هو حرمة كل منهما فقط سدا للذريعة . ينظر الموضوع بأكمله فى (نظرية الحظر عند الأصوليين والفقهاء) للمؤلف محفوظه كلية دار العلوم ــ جامعة القاهرة .

(١) مسلم فى الأشربة ، باب بيان أن كل مسكر خمر .
(٢) الواقعة/١٧ ــ ١٩ .
(٣) الواقعة/٢٠ ــ ٢٦ .

الحشيشة :

الحشيشة التى يأكلها سفلة الناس وأرذلهم وتسميها الأطباء « بالشهدانج » وعبر عنها ابن البيطار فى مفرداته بالقنب الهندى ، وهى مذمومة شرعا ، مضرة طبعا ، تفسد المزاج ، وتؤثر فيه الجفاف وغلبة السواد ، وتفسد الذهن ، وتورث مساءة الأخلاق ، وتحط قدر متعاطيها عند الناس إلى غير ذلك من الصفات الذميمة .

وقد أفرد ابن القسطلانى الحشيشة بتصنيف سماه « مكرمة المعيشة فى ذم الحشيشة » ذكر الكثير من معانيها ومساوىء متعاطيها ، أعاذنا الله تعالى من ذلك(١) .

الأيمان (٢) :

تحدث القلقشندى عن الأيمان فى قسمين :

الأول : فى أصول يتعين على الكاتب معرفتها قبل الخوض فى الأيمان .

والثانى : فى بيان معنى اليمين وأقسامه .

وفيما يلى بيان ذلك :

الأصول التى يتعين على الكاتب معرفتها قبل الخوض فى الايمان :

أوضح القلقشندى الأصول التى يتعين على الكاتب معرفتها قبل الخوض فى الايمان ، وأوضحها فيما يأتى : ما يقع به القسم ، وقسمه إلى قسمين :

(١) صبح الأعشى حـ ٢ / ١٥٢ ـــ ١٥٣ ، يقول ابن القيم « إن الخمر يدخل فيها كل مسكر مائعا كان أو جامدا ، عصيرا أو مطبوخا ، فيدخل فيها لقمة الفسق والفجور ـــ الحشيشة ـــ لأن هذا كله خمر بنص رسول الله ﷺ الصحيح الصريح الذى لا يطعن فى سنده ، إذ صح عنه : « كل مسكر خمر » ـــ وصح عن أصحابه وهم أعلم الناس بخطابه أن الخمر ما خمر العقل ، يقول الصنعانى فى سبل السلام حـ ٤ ص ٥١ « ويحرم ما أسكر من أى شىء وإن لم يكن مشروبا كالحشيشة ، ومن قال أنها لا تسكر وإنما تخدر فهذه مكابرة فإنها تحدث ما تحدث الخمر من الطرب والنشوة ، وإذا سلم عدم الاسكار فهى مفترة روى أبو داود أن رسول الله ﷺ نهى عن كل مسكر ومفتر .

(٢) الأيمان بفتح الهمزة ـــ جمع يمين وأصلها فى اللغة اليد اليمنى وأطلقت على الحلف لأنهم كانوا إذا تحالفوا يأخذ كل واحد منهم يد صاحبه . وفى الاصطلاح تحقيق أمر غير ثابت ماضيا كان أو مستقبلا . نفيا أو اثباتا .

الأقسام التى أقسم بها الله فى كتابه العزيز ، والأقسام التى تقسم بها الخلق .

وفيما يلى بيان كل قسم :

الأقسام التى أقسم بها الله تعالى فى كتابه العزيز :

ورد فى القرآن الكريم أقسام أقسم الله تعالى بها إقامة للحجة على المخالف بزيادة التأكيد بالقسم وهى على ضربين :

الأول : ما أقسم به الله تعالى فيه بذاته أو صفاته والمقصود منه مجرد التأكيد .

الثانى : ما أقسم الله تعالى فيه بشيء من مخلوقاته ومصنوعاته . وفيما يلى بيان كل قسم من تلك الأقسام :

الأول : ما أقسم به الله تعالى فيه بذاته أو صفاته :

والمقصود منه مجرد التأكيد وقد ورد فى مواضع يسيرة من القرآن الكريم ، منها قوله تعالى : « فورب السماء والأرض انه لحق مثل أما أنكم تنطقون »[1] .

وأما فى أثناء السور ، فمنه قوله تعالى : « فلا أقسم بمواقع النجوم »[2]

(١) الذاريات / ٢٣ . القسم هنا على الجملة الخبرية . وقد أقسم الله عز وجل بذاته العلية على صدق هذا الحديث كله ــ ما أخبرهم به من البعث وما خلق فى السماء من الرزق ــ وأقسم عليه بأنه حق « مثل ما أنكم تنطقون » . وكونهم ينطقون حقيقة بين أيديهم لا يجادلون فيها ولا يرتابون ، وكذلك هذا الحديث كله ، والله أصدق القائلين . وخص النطق من بين سائر الحواس لأن ماسواه من الحواس ، يدخله التشبيه كالذى يرى فى المرآه ، واستحالة الذوق عند غلبة الصفراء ونحوها ، والدوى والطنين فى الأذن والنطق سالم من ذلك ، ولا يعترض بالصدى لأنه لا يكون إلا بعد حصول الكلام من الناطق غير مشوب بما يشكل به . كما أن كل انسان يأكل رزقه ولا يمكنه أن يأكل رزق غيره قال ﷺ : « قاتل الله أقواما أقسم لهم ربهم بنفسه ثم لم يصدقوه » قال تعالى : « فورب السماء والأرض انه لحق » .

(٢) الواقعة / ٧٥ ــ ٧٦ . « فلا أقسم » « لا » صلة فى قول أكثر المفسرين ، والمعنى فأقسم بدليل قوله « وأنه لقسم » . وقيل هى نفى ، والمعنى ليس الأمر كما تقولون ، ثم أستأنف « أقسم » وقد يقول الرجل : لا والله ما كان كذا فلا يريد به نفى اليمين ، بل يريد به نفى كلام تقدم . أى ليس الأمر كما ذكرت بل هو كذا . وقيل ان « لا » بمعنى ألا للتنبيه ، ونبه بهذا على فضيلة القرآن ليتدبروه ، وأنه ليس بشاعر ولا ساحر .

وقوله : « فلا أقسم برب المشارق والمغارب »[٢] وقوله : « فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر إذا اتسق »[٣] . (٣) أمرا .[٤] . وقال : « والسماء

(١) المعارج/٤٠ . والمعنى إذا كان الأمر كما ذكر من أنا خلقناهم مما يعلمون فأقسم برب المشارق والمغارب ، وهى اما مشارق النجوم ومغاربها ، أو مشارق الشمس ومغاربها . وإن كل موضع من الجهة مشرق ومغرب فكذلك جمع فى موضع وثنى فى موضع آخر فقال تعالى : « رب المشرقين ورب المغربين » الرحمن/١٧ فقيل هما مشرقا الصيف والشتاء ، وجاء فى كل موضع بما يناسبه ، فجاء فى سورة الرحمن « رب المشرقين ورب المغربين » لأنها سورة ذكرت فيها المزدوجات ، فذكر فيها « الخلق والتعليم ، والشمس والقمر ، والنجوم والشجر ، والسماء والأرض » .. الخ ، فناسب كل المناسبة أن يذكر المشرقين والمغربين . وأما فى سورة المعارج فإنه أقسم سبحانه على عموم قدرته وكمالها وصحة تعلقها باعادتهم بعد العدم ، فذكر المشارق والمغارب بلفظ الجمع إذ هو أدل على المقسم عليه . سواء أريد مشارق النجوم ومغاربها أو مشارق الشمس ومغاربها ، أو كل جزء من جهتى المشرق والمغرب ، فكل ذلك آية ودلالة على قدرته تعالى على أن يبدل أمثال هؤلاء المكذبين وينشئهم فيما لا يعلمون فيأتى بهم فى نشأة أخرى كما يأتى بالشمس كل يوم من مطلع ويذهب بها فى مغرب . وأما فى سورة المزمل « رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا » المزمل/٩ فذكر المشرق والمغرب بلفظ الأفراد . لما كان المقصود ذكر ربوبيته ووحدانيته ، وكما أنه تفرد بربوبيته المشرق والمغرب وحده . فكذلك يتفرد بالربوبية والتوكل عليه وحده فليس للمشرق والمغرب رب سواه . فكذلك ينبغى أن لا يتخذ إله ولا وكيل سواه . أقسام القرآن لابن القيم ص ١٩٤ .

(٢) الانشقاق/١٦ — ١٧ . أقسم الله عز وجل هنا بثلاثة أشياء متعلقة بالليل هى : الشفق : وهو فى اللغة الحمرة بعد غروب الشمس إلى وقت صلاة العشاء الآخرة وكذلك هو فى الشرع . الثانى : قسمه « بالليل وماوثق » أى وما ضم وحوى وجمع فى ظلمته من مخلوقات . الثالث : قسمه بالقمر إذا تكامل وتم نوره — أقسم الله بذلك كله بأن الانسان سيلاقى الصعاب حالا بعد حال من شدائد يوم القيامة .

(٣) صبح الأعشى حـ ١٣/٢٠١ — ٢٠٢ .

(٤) أقسم الله عز وجل بالنازعات والناشطات ، والسابحات ، والسابقات ، والمدبرات ، وقد اختلف المفسرون فى تفسيرها ، فقيل هم : الملائكة التى تنزع بشدة أرواح الكفار عند الممات وتقبض برفق وسهولة أرواح المؤمنين . وأقسم سبحانه بالملائكة السابحة فى العوالم العليا وبالملائكة السابقة للايمان والطاعة وبالملائكة المدبرات لما يوكل إليها من أمور بنى آدم والكون . أقسم الله بذلك على أن الناس سيبعثون يوم القيامة من قبورهم . وقيل المراد بها الكواكب أو الخيل . وقيل القسم بها مراد به على التعميم بما يحمله المعنى اللغوى لها . وليس القسم على شىء معين .

ذات البروج واليوم الموعود »[1] وقال : « والسماء والطارق »[2] وقال : « والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل إذا يسر »[3] .

وقال عز شأنه : « والنجم إذا هوى »[4] وقال : « لا أقسم بيوم القيامة

(١) أقسم الله تعالى بالسماء وما فيها من مجموعات نجمية ثم باليوم الموعود للحساب والجزاء — يوم القيامة — ومن يشهد هذا اليوم ويحضره من الخلائق ، وما يشاهد فيه من الأهوال ، أقسم الله بذلك كله على استحقاق اللعن لقوم سابقين عذبوا فئة من المؤمنين .

(٢) أقسم الله عز وجل بالسماء ونجومها التي تظهر ليلا ويقول عنها : وما أعلمك أيها الانسان بحقيقة النجوم التي لا يمكن الاحاطة بها ، أنها تتراءى وتظهر ليلا فينفذ ضوئها في الظلام ، لقد أقسم الله بها ليخبر بأن كل نفس عليها حافظ ورقيب من الملائكة يراقبها ويحصى أعمالها ويحفظها من الآفات .
الطارق : اسم فاعل من طرق طرقا وطروقا إذا جاء ليلا ، وأصل الطرق الدق وإنما سميت المطرقة ، وإنما سمى قاصد الليل طارقا لاحتياجه إلى طرق الباب غالبا ، والمراد هنا الكوكب البادى بالليل . وقيل الطارق النجم الذى يقال له كوكب .

(٣) أقسم سبحانه بالفجر ، كما أقسم بالصبح حيث قال : « والصبح إذا تنفس » وقيل المراد به صلاته « وليال عشر » هن عشر ذى الحجة ، ولذلك فسر الفجر بفجر عرفه أو النحر أو العشر الأواخر من رمضان ، وتنكيرها للتفخيم « والشفع والوتر » ، الشفع : الاثنان ، و« الوتر » الفرد . قال جابر ابن عبد الله رضى الله عنهما ، قال ﷺ : « والفجر وليال عشر » قال : الصبح ، وعشر النحر ، والوتر يوم عرفه ، والشفع يوم النحر . فيوم عرفه وتر ، لأنه تاسعها ، ويوم النحر شفع لأنه عاشرها ، وقيل « الشفع خلقه » قال تعالى : « وخلقناكم أزواجا » النبأ/ ٨ .
والوتر : هو الله عز وجل ، وذلك لما روى عن أبى سعيد الخضرى عن النبى ﷺ : قال تعالى « قل هو الله أحد الله الصمد » ، « والليل إذا يسر » قسم خامس . وبعد ما أقسم بالليالى العشر على الخصوص أقسم بالليل على العموم ، ومعنى يسر ، يسرى فيه ، كما يقال : ليل نائم ، ونهار صائم . يكون بيت عبادة الملائكة فى السماء . والسقف المرفوع السماء ، والبحر المسجور : المملوء . وقد أقسم الله بهذه الخلائق على « أن عذاب ربك لواقع ما له من دافع » .

(١) أقسم الله عز وجل بالنجم عند هويه على تنزيه رسوله وبراءته مما نسبه إليه أعداؤه من الضلال والغى واختلف فى المراد بالنجم : فقيل المراد به القرآن أقسم به إذا نزل منجما على رسوله ﷺ وعلى هذا سمى القرآن نجماً لتفرقه فى النزول ، والعرب تسمى التفرق تنجما والمفرق نجما . وقوله « هوى » على هذا أى ينزل من علو إلى أسفل . وليس بالبين تسميته بالقرآن عند نزوله بالنجم إذا هوى ، ولا تسمية نزوله هو يا ولا عهد فى القرآن ذلك فيحمل عليه . وقيل معنى « والنجم إذا هوى » والثريا إذا سقطت مع الفجر والعرب تسمى الثريا نجما وإن كانت فى العدد نجوما . وأقرب ما يرد على الذهن أنها إشارة إلى « الشعرى » التى كان بعضهم يعبدها ، والتى ورد ذكرها فى السورة فيما بعد فى قوله : « وأنه رب الشعرى » ويكون اختيار مشهد هوى النجم مقصودا للتناسق ، ولمعنى آخر هو الايحاء بأن النجم مهما يكن عظيما فإنه يهوى ويتغير مقامه فلا يليق أن يكون معبودا ، فللمعبود الثبات والارتفاع والدوام .

ولا أقسم بالنفس اللوامة »[1] وقال الله تعالى : « والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا »[2] وقال: «والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات .. » .

الثانى : ما أقسم الله تعالى فيه بشىء من مخلوقاته ومصنوعاته :

والمقصود منه مع التأكيد التنبيه على عظيم قدرته وجلالة عظمته من حيث إبداعها تعظيما له لا لها[3] . وقد روى ذلك فى مواضع كثيرة من القرآن

---

(۱) القيامة/ ۱ ـــ ۲ ـــ فقد تضمن الأقسام ثبوت الجزاء ، ومستحق الجزاء ، وذلك يتضمن إثبات الرسالة والقرآن والمعاد ، وهو سبحانه يقسم على هذه الأمور الثلاثة ويقررها أبلغ التقرير لحاجة النفوس إلى معرفتها والايمان بها ، وأمر رسوله ﷺ أن يقسم عليها « ويستنبؤنك أحق هو قل أى وربى انه لحق » يونس/ ٥٣ ، وقال تعالى : « وقال الذين كفروا لا تأتين الساعة قل بلى وربى لتأتينكم » سبأ/ ٣ وقال : « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبئن بما عملتم وذلك على الله يسير » التغابن/ ٧ . فهذه ثلاثة مواضع لا رابع لها يأمر نبيه ﷺ أن يقسم لهم ، وأقام البراهين القطعية على ثبوت ما أقسم عليه ، فأبى الظالمون إلا جحودا وتكذيبا ـــ أقسام القرآن لابن القيم ص/ ١٤ . وهذه العبارة « لا أقسم » من العبارات الخاصة بالقسم ، والتى يقصد منها تأكيد الخبر ، كأنه فى ثبوته وظهوره لا يحتاج إلى قسم ، والنفى فى هذا القسم أريد به تعظيم المقسم به كأن يقول القائل : أنى لا أعظمه بالقسم لأنه عظيم فى ذاته .

(۲) أقسام من الله تعالى بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره ، فعصفن فى مضيهن عصف الرياح مسارعة فى امتثال الأمر ، وبطوائف أخرى نشرن أجنحتهن فى الجو عند انحطاطهن بالوحى ، أو نشرن الشرائع فى الأقطار ، أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحين ففرقن بين الحق والباطل . وقيل المراد بـ « المرسلات » الرياح ، أو رسل ترسل بما يعرفون به من المعجزات . وقيل يحتمل أن يكون المراد بالمرسلات السحاب لما فيها من نعمة ونقمة عارفة بما أرسلت فيه ومن أرسلت إليه .

(۳) أن وقوع القسم فى ابتداء السورة له ـــ أيضا ـــ أثره النفسى ـــ فإن البدء به مدعاة لجذب انتباه السامع لما يحدثه القسم فى نفسه من الرهبة ، فإذا حدث ذلك صحبه تهيؤ نفسى لتلقى ما يقال خصوصا أن ما يقال مبنى على قسم ، وفى هذا الحال يكون الانسان أشد تأثرا بما يسمع مما لو فاتحه بما تريد عن طريق الجدل والنقاش ، ذلك أن الاقناع العقلى فيه انتصار حاد لعقل على آخر ، ومن الصعب على النفوس الجامحة العنيدة كنفوس العرب فى جاهليتهم أن تقر أحد المتجادلين بالغلبة أو تسلم له بالانتصار من طريق الافحام ، بل كثيرا ما يكون السامع غير عارف بأصول الاقناع العقلى فلا فائدة إذن من فتح هذا الباب أمامه والدخول عليه من هذا الطريق الذى يجهله . وإذا رجعنا إلى جميع ما أقسم الله به فى القرآن وجدناه أما شيئا أنكره بعض الناس ، أو احتقروه لغفلتهم عن فائدته أو ذهلوا عن موضع العبرة فيه ، وعموا عن حكمة الله فى خلقه ، أنعمس عليهم الرأى فى أمره

الكريم لاسيما فى أوائل السور : فأقسم الله تعالى بالسماء والأرض والشمس والقمر ، والنجوم والرياح ، والجبال والبحار ، والثمار ، والليل والنهار ، وما تفرع منهما من الأوقات المخصوصة ، وبالملائكة الكرام المسخرين فى تدبير خلقه إلى غير ذلك من الحيوان والثمار وغيرها . وقيل المراد فى القسم بها وقت كذا .

فأما فى أوائل السور فقال الله تعالى : « والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا »[1] وقال عز وجل : « والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات أمرا »[2] وقال جلت عظمته : « والطور وكتاب مسطور فى رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور »[3] .

وقوله تعالى « فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون »[4] وقوله

= فأعتقدوا فيه غير الحق فيقسم الله عز وجل به أما لتقرير وجوده فى عقل من ينكره ، أو تعظيم شأنه فى شأنه من يحقره ، أو لتصحيح فهم خاطىء فى هذا المجال . تفسير جزء عم صـ ٣٤ . (عفيف عبد الفتاح طبارة . دار العلم للملايين . بيروت) .

(١) الصافات / ١ — ٣ — وقد أقسم الله عز وجل بتلك الطوائف من الملائكة « والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا » على وحدانية الله رب المشارق ، مزين السماء بالكواكب .

(٢) أقسم الله عز وجل بأربعة أمور : بالرياح التى تذرو ما تذروه من غبار وحبوب وسحب وغيرها مما يعلم الانسان ويجهل ، وبالسحاب الحاملات وقرا من الماء يسوقها الله به إلى حيث يشاء وأودع الكون كله من خصائص تسمه بهذا الجريان اليسير . ثم بالملائكة المقسمات أمرا . تحمل أوامر الله وتوزعها وفق مشيئته وهو سبحانه يقسم بها لتعظيم من شأنها وتوجيه القلوب إليها . لتدبر ما وراءها من دلالة ولرؤية يد الله وهى تنشئها وتصرفها وتحقق بها قدر الله المرسوم ، وذكرها على هذه الصورة بصفة خاصة يوجه القلب إلى أسرارها المكنونة ويعلقه بمبدع هذه الخلائق من وراء ذكرها هذا الذكر الموحى .

(٣) الطور : ١ — ٦ ، أقسم الله عز وجل بالطور وهو اسم الجبل الذى كلم الله عليه موسى تشرفا له وتكريما وتذكيرا لما فيه من الآيات بهذا الكتاب المسطور فى رق منشور . وقيل هو كتاب موسى الذى كتب له فى الألواح للمناسبة بينه وبين الطور . وقيل هو اللوح المحفوظ تمشيا مع ما بعده « البيت المعمور » والبيت المعمور : قد يكون هو الكعبة .

(٤) الحجر / ٩٢ — ٩٣ — القسم ههنا على الجملة الطلبية والمعنى : لنسألن يوم القيامة أصناف الكفرة من المقتسمين وغيرهم سؤال توبيخ وتقريع . وفى البخارى : وقال عدة من أهل العلم فى قوله : « فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون » عن لا إله إلا الله . وروى عن أنس بن مالك عن

تعالى : « فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا »[١] وقوله عز شأنه : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم »[٢]. وقوله : « يس والقرآن الحكيم »[٣] وقوله : « ص والقرآن ذى الذكر »[٤]، وقوله : « ق والقرآن المجيد »[٥] وقوله : « حم والكتاب المبين »[٦].

الأقسام التى تقسم بها الخلق :

رأى القلقشندى أن الأقسام التى تقسم بها الخلق تنقسم إلى قسمين :

الأول : ماكان يقسم به فى الجاهلية .

= رسول الله ﷺ « فوربك لنسألنهم أجمعين » قال : « عن قول لا إله إلا الله » رواه الترمذى ، ومعناه عن صدق لا إله إلا الله ووفائها . والآية بعمومها تدل على سؤال الجميع ومحاسبتهم كافرهم ومؤمنهم، قال الله تعالى: «وقفوهم انهم مسئولون» الصافات/٢٤ وقوله: «إن إلينا ايابهم ثم أن علينا حسابهم » الغاشية/١٥ ــ ١٦ فإن قيل : فقد قال الله تعالى : « ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون » القصص/٧٨ وقال : « فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان » الرحمن/٣٩ ، وقال « ولا يكلمهم الله » البقرة/١٧٤ ، وقال : « أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » المطففين/١٤ . قلنا : القيامة مواطن فموطن يكون فيه سؤال وكلام ، وموطن لا يكون ذلك فيه ، قال عكرمة : القيامة مواطن ، يسأل فى بعضها ولا يسأل فى بعضها . وقال ابن عباس : لا يسألهم سؤال استخبار واستعلام هل عملتم كذا وكذا ، لأن الله عالم بكل شىء ولكن يسألهم سؤال تقريع وتوبيخ فيقول لهم : لم عصيتم القرآن وما حجتكم ؟ ينظر القرطبى حـ ١٠/ ٦٠ وتفسير العلامة أبى السعود حـ ٣/ ٢٤١ .

(١) أقسم المولى عز وجل بنفسه بعد إقامة الحجة بأنه يحشرهم من قبورهم إلى المعاد . كما يحشر المؤمنين والشياطين . أى ولنحشرن الشياطين قرناء لهم . قيل يحشر كل كافر مع شيطان فى سلسلة ، كما قال : « احشروا الذين ظلموا وأزواجهم » الصافات/٢٢ . والواو فى « والشياطين » يجوز أن تكون للعطف وبمعنى مع ، وهى بمعنى مع أوقع ، والمعنى أنهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم ، يحشر كل كافر مع شيطان فى سلسلة .

(٢) النساء/٦٥ ، قال الطبرى قوله « فلا » رد على ما تقدم ذكره ، تقديره ، فليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك ، ثم استأنف القسم بقوله « وربك لا يؤمنون » وقال غيره : إنما قدم « لا » على القسم اهتماما بالنفى وإظهارا لقوته ، ثم كرره بعد القسم تأكيدا للتهمم بالنفى ، وكان يصح اسقاط لا الثانية ويبقى أكثر الاهتمام بتقديم الأولى ، وكان يصح اسقاط الأولى ويبقى معنى النفى ويذهب معنى الاهتمام .

(٣) يس/١ .

(٤) ص/١ .

(٥) ق/١ .

(٦) الزخرف والدخان (١ ــ ٢) .

الثانى : الأقسام الشرعية .

أولا : ما كان يقسم به فى الجاهلية :

أن مبنى الأيمان على الحلف بما يعظمه الحالف ، ويتحرز من الحنث عند الحلف به فأهل كل ملة يحلفون بما هو عظيم لديهم فى حكم دياناتهم ، ولا خفاء أن كل معترف بالله تعالى بالربوبية من أهل الديانات يحلف به سواء كان من أهل الكتاب أو مشركا ، ضرورة أعترافهم بألوهيته تعالى ، والانقياد إلى ربوبيته[1] .

وقد حكى الله تعالى عن الكفار فى القرآن الكريم رعاية القسم به تعالى فقال عز وجل : « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها »[2] وقال تعالى : « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم »[3] ، وقال جل من قائل : « وأقسموا بالله جهد إيمانهم لا يبعث الله من يموت »[4] .

ثم اليهود يحلفون بالتوراة ، والنصارى يحلفون بالانجيل ، وعبدة الأوثان من العرب كانوا يحلفون بأوثانهم ، وكان أكثر حلف عرب الحجاز باللات والعزة ، وربما جنحوا عن صورة القسم إلى ضرب من التعليق ، مثل أن يقول : ان فعلت كذا فعلى كذا ، أو فأنا كذا أو فأكون مخالفا لكذا أو خارجا عن كذا ، أو داخلا فى كذا وما أشبه ذلك .

وقد كانت العرب تأتى فى نظمها ونثرها عند حلفها بالتعليق بإضافة المكروه إلى مواقعة ما يحذرونه من هلاك الأنفس والأموال ، وفساد الأحوال ، وما يجرى مجرى ذلك .

---

(١) صبح الأعشى حـ ١٣ / ٢٦٣ وينظر المجموع شرح مهذب الشيرازى حـ ١٦ / ٥٤ .
(٢) الأنعام / ١٠٩ .
(٣) فاطر / ٤٢ .
(٤) النحل / ٣٨ .

وثمة يمين لا يحلف بها أعرابى أبدا وهى أن يقول : لا أورد الله لك صادرا ولا أصدر لك واردا ، ولا حططت رحلك ، ولا خلعت نعلك ، يعنى ان فعلت كذا[1] .

ثانياً : الأقسام الشرعية :

والمرجوع فيه إلى صيغة الحلف وما يحلف به ؟
فأما صيغة الحلف ففيه صريح وكناية :

فالصريح يكون مع الاتيان بلفظ الحلف ، كقوله : أحلف بالله لأفعلن كذا ، وأقسم بالله لأفعلن كذا ، ومع الاتيان بحروف من حروف القسم وهى : الواو كقوله : والله والباء الموحدة كقوله : بالله لأفعلن كذا . والتاء المثناه فوق كقوله : الله لأفعلن كذا .

وقد ورد القسم فى القرآن الكريم بالواو ، كما فى قوله تعالى : « ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ما كنا مشركين »[2] وبالتاء المثناه كما فى قوله تعالى : حكاية عن الخليل عليه السلام « وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين »[3] ، وقوله تعالى حكاية عن اخوة يوسف عليه السلام خطابا لأبيهم « قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف »[4] فإذا أتى باليمين بصيغة من هذه الصيغ انعقدت يمينه نوى اليمين أو لم ينوى .

والكناية : كقوله بلا ، بحرف القسم وباله ، ولعمر الله ، وأيم الله ، وأشهد بالله وأعزم بالله . فإذا أتى بصيغة من هذه الصيغ ونوى اليمين انعقدت وإلا فلا .

وفى معنى ذلك تعليق التزام فعل أو تركه ، بشرط أن يكون ذلك قربى

---

(1) صبح الأعشى جـ ١٣/ ٢٠٤ .
(2) الأنعام/ ٢٣ .
(3) الأنبياء/ ٥٧ ــ قال ابن عباس رضى الله عنهما أى وحرمه الله لأكيدن أصنامكم ، أى لأمكرن بها ، والكيد المكر ، كاده يكيده كيدا ومكيدة ، وكذلك المكايدة .
(4) يوسف/ ٨٥ .

كقوله : إن فعلت كذا فعلى نذر كذا ، أو يكون كفارة يمين ، مثل أن يقول : ان فعلت كذا فعلى كفارة يمين[1] .

ما يحلف به :

وأما ما يحلف به فهو على أربعة أصناف :

الأول : اسم الله تعالى ، الذى لا يشاركه فيه غيره ، وهو الله ، والرحمن . ولا نزاع فى انعقاد اليمين به بكل حال إذ لا ينصرف بالنسبة إلى غيره ، قال تعالى : « فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له ثنيا »[2] أى هل تعلم أحدا تسمى الله غيره وقال عز وجل : « قل أدعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى » فجعل اسمه الرحمن قريبا لاسمه (الله) . ولا عبرة بتسمية مسيلمة الكذاب ــ لعنه الله عليه ــ نفسه رحمن اليمامة تجهرما ، إذ لم يتسم به مقيدا باضافته إلى اليمامة ، وكذلك « الأزلى » أى الذى ليس قبله شيء .

الثانى : اسم الله تعالى الذى يسمى به غيره على سبيل المجاز ، وعند الإطلاق ينصرف إلى الله تعالى : كالرحيم ، والعليم ، والحليم ، والحكيم ، والخالق ، والرزاق ، والجبار ، والحق ، والرب ،.. فإن قصد به الله تعالى انعقدت اليمين ، وإن قصد به غيره فلا تنعقد .

(١) صبح الأعشى حـ ١٣/٢٠٥ ــ وينظر المغنى حـ ٨/٦٩٣ والمجموع حـ ١٦/٥٥ وحروف القسم ثلاثة :

الباء :

وهى الأصل وتدخل على المظهر والمضمر جميعا .

والواو :

وهى بدل من الباء تدخل على المظهر دون المضمر ، وهى أكثر استعمالا ، وبها جاءت أكثر الأقسام فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وإذا كانت الباء الأصل لأنها الحرف الذى تصل به الأفعال القاصرة عن التعدى إلى مفعولاتها ، والتقدير فى القسم أقسم أقسم بالله ، قال تعالى : « وأقسموا بالله جهد أيمانهم » فاطر/٤٢ .

والتاء :

والتاء بدل من الواو وتختص باسم واحد من أسماء الله تعالى وهو لفظ الجلالة (الله) ولا تدخل على غيره فيقال : تالله ولو قال : تالرحمن لم يكن قسما فإذا أقسم بأحد هذه الحروف الثلاثة فى موضعه كان قسما صحيحا لأنه موضوع له .

(٢) مريم/٦٥ .

أقول : إن هذا يسمى به غير الله مجازا بدليل قوله تعالى « إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا » العنكبوت/١٧ وقوله تعالى : « أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين » الصافات/١٢٥ ، وقوله تعالى : « ارجع إلى ربك » يوسف/٥٠ وقوله : « اذكرنى عند ربك » يوسف/٤٢ .

الثالث : ما يستعمل فى أسماء الله تعالى مع مشاركة غيره له فيه ، كالموجود والحى والناطق ، ولا تنعقد به اليمين — قصد الله تعالى أو لم يقصده — لأن اليمين إنما تنعقد بحرمة الاسم **الرابع** : صفات الله تعالى : فإن كانت الصفة المخلوق بها صفة لذاته كقوله : وعظمة الله ، وجلال الله ، وقدرة الله ، وعزة الله ، وكبرياء الله ، وعلم الله ، انعقد اليمين والا فلا ، ولو قال : وحق الله انعقدت اليمين عند الشافعى ومالك وأحمد رحمهم الله[1] ، وذهب أبو حنيفة إلى أنها لا تنعقد لأن حقوق الله تعالى هى الطاعات ، وهى مخلوقة فلا يكون الحلف بها يمينا[2] .

ونرى أن الرأى الأول هو الراجح ، لأن لله حقوقا يستحقها لنفسه من البقاء والعظمة والجلال والعزة وقد أقترن عرف الاستعمال بالحلف بهذه الصفة فتنصرف إلى صفة الله تعالى كقوله وقدرة الله .

وقد كان أكثر حلف النبى ﷺ بقوله : « والذى نفسى بيده » وأيمان الصحابة فى الغالب : « ورب محمد » ، « ورب ابراهيم » ، وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ كثيرا ما يحلف : « لا ومقلبى القلوب »[3] .

ثم اليمين الشرعية التى يحلف بها الحكام : إن كان مسلما أحلف بالله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، الذى أنزل القرآن على نبيه محمد ﷺ .

---

(١) صبح الأعشى حـ ١٣/٢٠٧ والمغنى حـ ٨/٦٨٩ .
(٢) صبح الأعشى حـ ١٣/٢٠٧ وينظر المغنى حـ ٨/٦٧٧ ، ٦٨٩ ، ٦٩١ والمجموع حـ ١٦/٥٦ .
(٣) البخارى فى القدر وفى التوحيد وفى الايمان والنذور ، الترمذى فى الايمان والنذور ، أبو داود فى الايمان باب ماجاء فى يمين النبى ﷺ ، ابن ماجه فى الكفارات ، باب يمين رسول الله ﷺ رقم ٢٠٩٢ .

وإن كان يهوديا أحلف بالله الذى أنزل التوراة على موسى عليه السلام ونجاه من الغرق ، وإن كان نصرانيا أحلف بالله الذى أنزل الانجيل على عيسى بن مريم عليه السلام .

اليمين الغموس ولغو اليمين :

معنى اليمين الغموس :

قال الشافعى رضى الله عنه : هى أن يكون الحالف فى خبره كاذبا ، وقال غيره : هى أن يحلف على أمر ماض أنه كان ولم يكن . وهما متقاربان ، وإنما سميت بذلك لأنها تغمس صاحبها فى الأثم .

ونرى أن هذه اليمين من الكبائر ، وهى أعظم من أن تكفر ، لأنها يمين غير منعقدة ، فلا توجب الكفارة كاللغو أو يمين على ماض ، فأشبهت اللغو ، وبيان كونها غير منعقدة أنها لا توجب برا ولا يمكن فيها ، ولأنه قارنها ما ينافيها وهو الحنث ، فلم تنعقد كالنكاح الذى قارنه الرضاع ، ولأن الكفارة لا ترفع اسمها فلا تشرع فيها .

يقول القلقشندى اختلف الفقهاء فى وجوب الكفارة فى تلك اليمين : فذهب الشافعى إلى وجوب الكفارة فيها تغليظا على الحالف ، كما أوجب الكفارة فى القتل العمد وهو مذهب عطاء والزهرى وابن عيينه وغيرهم . وذهب أبو حنيفة ومالك وأحمد رضى الله عنهم إلى أنه لا كفارة فيها ، إحتجاجا بأنها أعظم من أن تكفر وهو مذهب الثورى والليث واسحاق ويؤكد الرأى الأول ما روى عن النبى ﷺ أنه قال : من الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس[1] .

(١) صبح الأعشى حـ ١٣/٢٠٧ ــ ٢٠٨ ــ وينظر المجموع حـ ١٦/٢٦١ والمغنى حـ ٨/٦٨٢ ، ٦٨٦ والفقه على المذاهب الأربعة حـ ٢/٦١ .

لغو اليمين[١] :

اختلف الفقهاء فيه أيضا فذهب الشافعي إلى أنه ما وقع من غير قصد ماضيا كان أو مستقبلا كقوله لا والله بلا والله ، وهو إحدى الروايتين عن أحمد[١] .

التحذير من الوقوع في اليمين الغموس :

تعتبر اليمين الغموس من أعظم الكبائر ، وناهيك أنها تغمس صاحبها في الاثم ، وقد قال الله تعالى : « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤخذكم بما عقدتم الايمان »[١] وقال عز وجل : « ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا »[٣] .

وقد قيل أن التوحيد وهو : « الذى لا إله إلا هو » إنما أوصل في اليمين رفقا بالحالف كي لا يهلك لوقته ، فقد روى عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال : « إذا حلف الحالف بالله الذى لا إله إلا هو لم يعاجل لأنه قد وحد الله » .. وقال أيضا : « أحلفوا الظالم إذا أردتم يمينا بأنه برىء من حول الله وقوته فإنه إن حلف بها كاذبا عوجل »[٣] .. وقال ﷺ : « من حلف على يمين وهو فيها فاجر ليقتطع بها مال إمرىء مسلم لقى الله عز وجل وهو عليه غضبان »[٤] .

(٢) صبح الأعشى حـ ١٣ / ٢٠٨ والمجموع حـ ١٦ / ٢٦١ . اللغو : مصدر لغى يلغو ويلغى وبابه نصر وعلم إذا أتى بما لايحتاج إليه في الكلام ، أو بما لا خير فيه ، وقد ذم الله الحلف الكاذب ، قال عز شأنه: «ويحلفون على الكذب وهم يعلمون» المجادلة/ ١٤ ولأن الكذب حرام فإذا كان محلوفا عليه كان أشد في التحريم وإن أبطل به حقا أو أقتنع به مال معصوم كان أشد قال ﷺ : « من حلف يمينا فاجره يقتطع بها مال أمرىء مسلم لقى الله وهو عليه غضبان » .
قال تعالى : « إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم .. »

(٢) صبح الأعشى حـ ١٣ / ٢٠٨ ــ ٢٠٩ وينظر المغنى حـ ٨ / ٦٨٧ .
والآية من سورة المائدة رقم / ٨٩ .

(٣) النحل / ٩١ .

(٤) صبح الأعشى حـ ١٣ / ٢٠٩ .

(٥) مسلم في الايمان ، باب وعيد من أقتطع حق مسلم بيمين فاجرة ، أبو داود في الايمان ، باب فيمن حلف يمينا ليقتطع مالا لأحد ، الترمذى في التفسير ، باب ومن سورة الرحمن بلفظ عن عمران

الأمان :

إذا طلب الأمان أى فرد من الأعداء من المحاربين قبل منه ، وصار بذلك آمنا لا يجوز الاعتداء عليه بأى وجه من الوجوه ، لقوله تعالى : « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه »[1] .

ولقول النبى ﷺ : « المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويجير أدناهم وهم يد على من سواهم »[2] .

وقد ذكر الفقهاء له أركانا وشرائط وأحكاما :

فأما أركانه فثلاثة : العاقد ، والمعقود له ، وصيغة العقد ، وفيما يلى بيان ذلك : **الأول** : العاقد : العاقد للأمان من المسلمين[3] وليعلم أن الأمان على ضربين : عام وخاص . فالعام : هو عقده للعدد الذى لا يحصر كأهل ناحية ، ولا يصح عقد الأمان فيه إلا من الأمام أو نائبه .. والخاص : هو عقده للواحد أو العدد المحصور ويصح من كل مسلم مكلف وإن لم تكن له أهلية القتال ، فيصح من المرأة والشيخ الهرم والسفيه والمفلس لقوله ﷺ : « قد أجرنا من أجرت يأأم هانىء »[4] .

ابن حصين رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « من حلف على يمين مصبورة كاذبا فليتبوأ بوجهه مقعدة من النار » . مصبورة : أصل الصبر الحبس ، وقتل فلان صبرا أى حبسا على القتل وقهرا عليه ، ويمين الصبر هو أن يلزم الحاكم الخصم اليمين حتى يحلف ويقفه ويلزمه بها ، يقال : يمين مصبورة : لازمة لصاحبها من جهة الحكم .

وقيل لليمين مصبورة وإن كان صاحبها فى الحقيقة هو المصبور لأنه صبر من أجلها فأضيف الصبر إلى اليمين مجازا .

(١) التوبة/٦ .

(٢) أبو داود فى الديات ، باب ايقاد المسلم بالكافر .

(٣) هذا الحق ثابت للرجال والنساء والأحرار والعبيد فمن حق أى فرد من هؤلاء أن يؤمن أى فرد من الأعداء يطلب الأمان لقوله ﷺ : « ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم وهم يد على من سواهم » .

(٤) البخارى فى الغسل : باب التستر ، وفى الجهاد باب أمان النساء وجوارهن ، مسلم فى الحيض باب تستر المغتسل بثوبه ، أبو داود فى الصلاة ، باب ما جاء فى الضحى ، وفى الجهاد باب أمان المرأة ، النسائى فى الطهارة ، باب ذكر الا ستتار عند الاغتسال ، أحمد فى المسند حـ ٦ /٣٤٣ .

الثانى : المعقود له . ويصح عقده للواحد والعدد من ذكور الكفار وإناثهم .

الثالث : صيغة العقد . وهى كل لفظ يفهم الأمان ، كناية كان أو صريحا ، وفى معنى ذلك الاشارة المفهمة ويعتبر فيه قبول الكافر ، فلابد منه حتى لو رد الأمان لم ينعقد ، وفيما إذا سكت فلان . نعم لو دخل للسفارة بين المسلمين والكفار فى تبليغ رسالة ونحوها أو لسماع كلام الله تعالى لم يعتبر فيه عقد الأمان به يكون آمنا بمجرد ذلك أما لو دخل بقصد التجارة بغير أمان فإنه لا يكون آمنا إلا أن يقول الامام أو نائبه من دخل تاجرا فهو آمن .

وأما شرطه : فإن لا يكون على المسلمين ضرر فى المستأمن ، بأن يكون طليعة أو جاسوسا فإنه يقتل ولا يبالى بأمانه ، ويجب ألا تزيد مدة الأمان على أربعة أشهر ، وفى قول يجوز مالم تبلغ سنة فإن بلغتها أمتنع قطعا .

وأما حكمه فإذا عقد الأمان لزم المشروط فلو قتله مسلم وجبت الدية ، ثم هو جائز من جهة الكفار فيجوز للكافر نبذه متى شاء ، ولازم من جهة المسلمين فلا يجوز النبذ إلا أن يتوقع من المستأمن الشر فإذا توقع منه ذلك جاز نبذ العهد إليه ويلحق بمأمنه[٥] .

العهود[١] :

معنى العهد فى اللغة :

العهد لفظ مشترك يقع فى اللغة على عدة معان منها :

١ ــ الأمان . ومنه قوله تعالى : « فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم »[٢] .

٢ ــ اليمين . ومنه قوله عز شأنه : « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم »[٤] .

٣ ــ الحفاظ . ومنه قوله ﷺ : « حسن العهد من الايمان »[٥] .

(١) صبح الأعشى ١٣/٣٢٣ .

(٢) الباب الثالث من المقالة الخامسة حـ ٩/٣٤٨ .

(٣) التوبة/٤ .

(٤) النحل/٩١ .

(٥) فتح البارى حـ ١٠/٤٣٦ .

٤ ــ الذمة . ومنه قوله ﷺ : « لا يقتل مسلم أو مؤمن ــ بكافر ، ولا ذو عهد فى عهده »[١] .

٥ ــ الزمان . ومنه قولهم : « كان ذلك على عهد فلان » .

٦ ــ الوصية . ومنه قوله تعالى : « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى »[٢] وهو المراد هنا ، قال الجوهرى : ومنه آشتق العهد الذى يكتب للولاة .

أصل مشروعيتها :

والأصل فى ذلك ما ثبت فى الصحيحين من حديث ابن عمر رضى الله عنهما ، أنه قيل لعمر عند موته ألا تعهد ؟ فقال : أأتحمل أمركم حيا وميتا ؟ ان أستخلف فقد أستخلف من هو خير منى ــ يعنى أبا بكر ــ وان أترك فقد ترك من هو خير منى ــ رسول الله ﷺ[٣] . فأثبت استخلاف أبى بكر رضى الله عنه بذلك مشيرا إلى ما روى أنه لما اشتد بأبى بكر الصديق رضى الله عنه الوجع فأرسل إلى على وعثمان ورجال من المهاجرين والأنصار فقال : قد حضر ماترون ، ولابد من قائم بأمركم ، فإن شئتم استخرتم لأنفسكم وإن شئتم استخرت لكم . قالوا بل اختر لنا ، فأمر عثمان فكتب عهد وعمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال عمر : لا أطيق القيام بأمور الناس . فقال أبو بكر هاتوا بسيفى ، وتهدده فانقاد عمر ، ثم دخل عليه طلحا فعاتبه على استخلاف عمر. فقال : إن عمر والله خير لكم وأنتم شر له ، والله لو وليتك لجعلت أنفك فى قفاك ، ولرفعت نفسك فوق قدرها حتى يكون الله هو الذى يضعها . أتيتنى وقد كنت عينك ترد أن تفتننى عن دينى وتردنى عن رأيى ، قم لا أقام الله رحلك ، قم والله لقد بلغنى أنك عصيته وذكرته بسوء لألحقنك بحمضات قنه حيث كنتم تسقون ولا ترون وتزرعون ولا تشبعون وأنتم بذلك راضون ، فقام طلحة فخرج[٤] . ثم أتى القلقشندى بنماذج من هذه العهود ، ومن تلك

(١) أبو داود فى الديات ، باب إيقاد المسلم بالكافر وإسناده حسن .

(٢) طـه/١١٥ .

(٣) البخارى حـ ١٣ ص ١٧٧ ، ومسلم فى الامارة باب الاستخلاف وتركه .

(٤) صبح الأعشى حـ ٩/٣٥٠ .

العهود ، ذلك العهد الذى كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن[١] وقد آشتمل هذا العهد على عدة أمور منها :

١ ــ الوفاء بالعهود لقوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود »[٢] .

٢ ــ تقوى الله عز وجل قال تعالى : « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون »[٣] .

٣ ــ كما أمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله ، وأن يبشر الناس بالخير ويأمرهم به .

٤ ــ أن يعلم الناس القرآن ويفقههم فيه ، وينهى الناس فلا يمس القرآن انسان إلا وهو طاهر[٤] .

٥ ــ أن يلين للناس فى الحق ، ويشتد عليهم فى الظلم ، فإن الله يكره الظلم ، قال عز شأنه : « ألا لعنة الله على الظالمين »[٥] .

٦ ــ لا يجوز للمؤمن أن يحتبى فى ثوب واحد يفضى بفرجه إلى السماء[٦] .

٧ ــ أن يأمر الناس بإسباغ الوضوء : وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ويمسحون برءوسهم ، كما أمرهم الله[٧] .

٨ ــ أن يأمر الناس بالصلاة لوقتها . قال تعالى : « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا »[٨] وأن يأمرهم بالسعى فى أيام الجمع إلى المساجد

---

(١) صبح الأعشى حـ ١٠/٩ وسيرة ابن هشام حـ ٣/٧٢ .

(٢) المائدة/١ .

(٣) النحل/١٣٨ .

(٤) مالك فى الموطأ فى كتاب القرآن ، باب الأمر بالوضوء لمن مس القرآن .

(٥) هــود/١٨ .

(٦) « نهى رسول الله ﷺ عن اشتمال الصماء وأن يحتبى الرجل فى ثوب واحد ليس على فرجه منه شيء » أخرجه البخارى فى اللباس ، باب اشتمال الصماء ، مسلم فى البيوع ، باب النهى عن اشتمال الصماء ، وباب أبطال بيع الملامسة .

(٧) قال تعالى : « يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين » المائدة/٦ .

(٨) النساء/١٠٣ .

إذا نودى لها[1] . والغسل عند الرواح إليها"[2] .

٩ ــ وأمره أن يأخذ من المغانم خمس الله ، وما كتب على المؤمنين فى الصدقة من العقار عشر ما سقت العين وسقت السماء ، وفى كل عشر من الابل شاتان ، وفى كل عشرين أربع شياه ، وفى كل أربعين من البقر بقرة ، وفى كل ثلاثين من البقر تبيع[3] ، وفى أربعين من الغنم سائمة[4] ، وحدها شاة ، فإنها فريضة الله تعالى التى أفترض على المؤمنين فى

(١) قال تعالى : « يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » **الجمعة ٩** .

(٢) عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل » أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة ، باب فضل الغسل يوم الجمعة . ويسن أيضا أن يقرأ فى صلاة الفجر يوم الجمعة بـ « ألم تنزيل » السجدة ، « هل أتى على الانسان » لما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « كان النبى ﷺ يقرأ فى الجمعة فى صلاة الفجر « ألم تنزيل » السجدة » ، « وهل أتى على الانسان » أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة ، باب ما يقرأ فى صلاة الفجر يوم الجمعة ، وفيه دليل على استحباب قراءة هاتين السورتين فى هذه الصلاة من هذا اليوم ، لما تشعر الصيغة به من مواظبة النبى ﷺ على ذلك أو اكثاره منه . قال الحافظ ابن حجر فى الفتح جـ ٢ / ٣٧٨ ورد من حديث بن مسعود التصريح بمداومته ﷺ على ذلك . أخرجه الطبرانى ولفظه « يديم ذلك » والحكمة فى اختصاص يوم الجمعة بقراءة سورة السجدة قصد السجود الزائد ــ حتى أنه يستحب لمن لم يقرأ هذه السورة بعينها أن يقرأ سورة غيرها فيها سجدة . فإن ضاق الوقت عن قراءتها قرأ بما أمكن منها ولو بآية السجدة . ينظر فتح البارى جـ ٢ / ٣٧٩ ، وجاء فى كتاب بجيرمى على الخطيب جـ ٢ / ٦٠ « وله الاقتصار على بعض كل منهما ولو آية السجدة زلز بقصد السجود . لأن صبح الجمعة محل للسجود فى الجملة ــ وأن ذلك مما يتعلق بفضل يوم الجمعة لاختصاص صبحها بالمواظبة على قراءة هاتين السورتين . وقيل إن الحكمة فى هاتين السورتين الإشارة إلى ما فيهما من ذكر خلق آدم عليه السلام وأحوال يوم القيامة ، لأن ذلك كان وسيقع يوم الجمعة . والله أعلم .

(٣) نصاب الزروع والثمار ثلاثمائة بالكيل ومقدار زكاتها العشر (١٠٪) إن كانت الزروع والثمار تروى من غير كلفة كماء المطر وماء النهر وماء العين السائحة ــ وهى التى يخرج ماؤها من الأرض من غير استخدام آلة ــ ونصف العشر (٥٪) إن كان ريها يحتاج إلى جهد فى ايصال الماء إليها باستخدام الآلات والدواب .
والتبيع ابن سنة ــ من البقر ودخل فى الثانية وسمى به لأنه يتبع أمه فى المرعى ، وقيل لأن قرنه يتبع إذنه أى يساويها ، وعلى هذا لا يجب فى البقر شىء حتى يبلغ ثلاثين ، فهو أول نصاب البقر .

(٤) السوم : الراعى ، يقال : سام الماشية يسومها إذا تركها ترعى فى الصحراء .

(ب) **إقطاع الاستغلال** : وهو إما خراج أو عشر ..

فأما الخراج فينقسم إلى ثلاثة أقسام باعتبار المستحق لأن المستحق قد يكون من أهل الصدقات ، أو من أهل المصالح ، أو من مرتزقة أهل الفيء ، وفيما يلي بيان تلك الأصناف :

فإن كان من يقطعه الامام من أهل الصدقات لم يجز أن يقطع مال الخراج ، لأن الخراج فيء لا يستحقه أهل الصدقات كما لا يستحق الصدقة أهل الفيء ، وأجاز إقطاعه أبو حنيفة[1] .

وإن كان من أهل المصالح ممن ليس له رزق مفروض فلا يصح أن يقطعه على الاطلاق وإن جاز أن يعطى من مال الخراج لأنهم من نفل أهل الفيء لا من فرضه ، وما يعطونه إنما هو من غلات المصالح ، فإن جعل لهم من مال الخراج شيء أجرى عليه حكم الحوالة لا حكم الاقطاع .

وإن كان من مرتزقة أهل الفيء وهم أهل الجيش ، فهم أخص الناس بجواز الاقطاع ، لأن لهم أرزاقا مقدرة تصرف إليهم مصرف الاستحقاق من حيث أنها أعواض عما أرصدوا نفوسهم له من حماية البيضة والذب عن الحريم .

وأما العشر : فلا يصح إقطاعه ، لأنه زكاة الأصناف فيعتبر وصف استحقاقهم عند دفعها اليهم وقد يجوز أن لا يوجد فلا تجب[2] .

(١) السابق حـ ١٣ / ١١٥ وينظر المراجع الفقهية السابقة .
(٢) صبح الأعشى حـ ١٣/١١٦ ــ ١١٧ .

أقسام الاقطاع :

ينقسم الاقطاع إلى قسمين : إقطاع التمليك ، وإقطاع الاستغلال . وفيما يلى بيان كل قسم من هذين القسمين :

(أ) إقطاع التمليك :

الأرض المقطعة بالتمليك أما موات وأما عامر ، وأما معدن ..

فأما الموات : فإن كان لم يزل مواتا على قديم الزمان لم تجر فيه عمارة ولم يثبت عليه ملك فيجوز للسلطان أن يقطعه من يحييه ويعمره . ثم مذهب أبي حنيفة أن إذن الامام شرط فى احياء الموات[1] . وحينئذ فيقوم الاقطاع فيه مقام الاذن[2] .

ومذهب الشافعى رضى الله عنه أن الاقطاع يجعله أحق بأحيائه من غيره ، وعلى كلا المذهبين يكون القطع أحق بإحيائه من غيره[3] .

وأما **ان كان الموات عامرا فخرب** : وصار مواتا عاطلا ، فإن كان جاهليا كأرض عاد وثمود فهى كالموات الذى لم تثبت فيه عمارة فى جواز إقطاعه ، قال ﷺ : « عادى الأرض لله ولرسوله ثم هى لكم منى »[4] يعنى أرض عاد .

وإن **كان الموات إسلاميا** : جرى عليه ملك المسلمين ، ثم خرب حتى صار مواتا عاطلا فقد أختلف الفقهاء فى حكمه على النحو الآتى :

ا ـ فذهب الشافعى رضى الله عنه إلى أنه لا يملك بالأحياء ، عرف أربابه أم لم يعرفوا ، وهو أحد الروايتين عن أحمد .

---

(١) الموات : الأرض التى لم تعمر ؛ شبهت العمارة بالحياة ، وتعطيلها بفقد الحياة ، وأحياء الموات : أن يعمد الشخص لأرض لا يعلم تقدم ملك عليها لأحد فيحييها بالسقى والزرع أو الغرس أو البناء ، قال ﷺ : « من أحيى أرضا ميتة فهى له » أخرجه الترمذى فى الأحكام ، باب ما ذكر فى أحياء الموات ، وقال حديث حسن صحيح ، والبخارى تعليقا حـ ٤/١٥ .

(٢) شرح الدر المختار حـ ٢/٢٣٠ وشرائع الاسلام حـ ٣/٢٧١ .

(٣) المهذب حـ ١/٤٣٠ والمجموع حـ ١٤/١٠٣ والمغنى حـ ٥/٥٦٣ .

(٤) صبح الأعشى حـ ١٣/١١٣ .

ب ــ وذهب مالك رضى الله عنه إلى أنه يملك بالأحياء ، عرف أربابه أم لم يعرفوا .

حـ ــ ومذهب أبو حنيفة أنه إن عرف أربابه لم يملك بالأحياء وإلا ملك[1] .

وأما العامر : فإن تعين مالكوه فلا نظر للسلطان فيه إلا ما تعلق بتلك الأرض من حقوق بيت المال إذا كانت فى دار الاسلام ، سواء كانت لمسلم أو ذمى وإن كانت فى دار الحرب[2] التى لم يثبت عليها للمسلمين يد جاز للامام أن يقطعها يملكها المقطع عند الظفر بها ، كما أقطع النبى ﷺ تميما وأصحابه أرضا بالشام قبل فتحه على ما تقدم ذكره[3] .

وإن لم يتعين مالكوه : فإن كان الامام قد اصطفاه لبيت المال من فتوح البلاد أما بحق الخمس ، أو باستطابة نفوس الغانمين ، لم يجز إقطاع رقبته ، لأنه قد صار باصطفائه لبيت المال ملكا لكافة المسلمين فجرى على رقبته حكم الوقف المؤبد ، والسلطان فيه بالخيار بين أن يستغله لبيت المال ، وبين أن يتخير له من ذوى المكانة والعمل من يقوم بعمارة رقبته ، ويأخذ خراجه ، ويكون الخراج أجرة عنه تصرف فى وجوه المصالح .

وإن كان العامر أرض خراج لم يجز اقطاع رقابها تمليكا .

وإن كان الموات قد مات عنه أربابه من غير وارث ، صار لبيت المال ملكا لعامة المسلمين ثم قيل تصير وقفا على المسلمين بمجرد الانتقال إلى بيت المال ، لا يجوز إقطاعها ولا بيعها ، وقيل لا تعتبر وقفا حتى يقفها الامام ، ويجوز للامام بيعها إذا رأى فيه المصلحة ويصرف ثمنها فى ذوى الحاجات[4] .

---

(١) المغنى حـ ٥/٥٦٥ والمجموع حـ ١٠٣/١٤ .
(٢) كفاية الأخيار حـ ٣١٦/١ .
(٣) صبح الأعشى حـ ١١٣/١٣ .
(٤) صبح الأعشى حـ ١١٥/١٣ .

الصدقة ، فمن زاد خيرا فهو خير له . ومعظم العهود التى أوردها القلقشندى تدور حول تلك المعانى[1] .

الاقطاعات :

معنى الاقطاعات فى اللغة :

الاقطاعات جمع اقطاع ، وهو مصدر أقطع ، يقال أقطعه أرض كذا يقطعه إقطاعا وآستقطعه إذا طلب منه أن يقطعه ، والقطيعة الطائفة من أرض الخراج .

وأما أصلها فى الشرع كما رواه الحافظ ابن عساكر فى تاريخ دمشق بسنده إلى ابن سيرين عن تميم الدارى أنه قال : « أستقطعت رسول الله ﷺ أرضا بالشام قبل أن تفتح فأعطانيها ، ففتحها عمر بن الخطاب فى زمانه فأتيته فقلت ان رسول الله ﷺ أعطانى أرضا من كذا إلى كذا فجعل عمر ثلثها لابن السبيل وثلثا لعمارتها وثلثا لنا[2] .

وذكر الماوردى فى الأحكام السلطانية أن أبا ثعلبة الخشنى رضى الله عنه سأل النبى ﷺ أن يقطعه أرضا كانت بيد الروم فأعجبه ذلك ، وقال : ألا تسمعون ما يقول ؟ فقال والذى بعثك بالحق ليفتحن عليك فكتب له بذلك كتابا[3] .

وذكر أبو هلال العسكرى فى كتابه الأوائل أن أول من أقطع القطائع بالأرضين أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ولا وجه له بعد ما تقدم ذكره ، اللهم إلا أن يريد أن عثمان أول من أقطع القطائع بعد الفتح ، فإن ما أقطعه النبى ﷺ كان قبل الفتح كما تقدم[4] .

---

(١) السابق حـ ١٠/١٧ ــ ٢٦٥ .

(٢) صبح الأعشى حـ ١٣/١٠٥ والمجموع حـ ١٤/١٠٨ .

(٣) الأحكام السلطانية للماوردى ص ١٠٧ وينظر المغنى حـ ٥/٥٧٨ .

(٤) صبح الأعشى حـ ١٣/١٠٥ ــ ١٠٦ .

الوصايا الدينية

تحدث القلقشندى عن الوصايا الدينية فى قسمين :

الأول : فيما لقدماء الكتاب من ذلك .

الثانى : فيما يكتب فى الأوامر والنواهى الدينية .

وفيما يلى بيان ذلك :

أولا : فيما لقدماء الكتاب من الوصايا :

كان لقدماء الكتاب بذلك عناية عظيمة بحسب ما كان للملوك من الاقبال على معالم الدين ومن أكثرهم عناية بذلك أهل العرب ، وفيما يلى نسخة من ذلك كتب بها أبو زيد الدارارى أحد كتاب الأندلس لأحد خلفاء بنى أمية بالأندلس واشتملت تلك الوصية على عدة أمور منها :

١ ـــ افتتحت الوصية بحمد الله والصلاة على رسول الله ﷺ ، وتحدث عن أمرين :

(ا) الاشارة إلى أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يعتبران من أهم الأسس التى تتفرع عنهما مصالح الدنيا والدين .

(ب) اتقاء الشبهات وذلك لقول الرسول ﷺ : « من اتقى الشبهات استبرأ لدينه »[1] . تنبيها على ترك الشك لليقين .

٢ ـــ تقوى الله عز وجل « نوصيكم بتقوى الله والعمل بطاعته والاستعانة به »[2] .

٣ ـــ أوضحت الوصية حق الحاكم تجاه رعيته وأنه يجب عليه عدة أمور منها :

(ا) استيفاء كل نظر يعود على الأمة باستقامة أخراها وأولادها .

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الايمان ، باب فضل من استبرأ لدينه ، مسلم فى المساقاه ، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ، الترمذى فى البيوع ، باب ماجاء فى ترك الشبهات ، أبو داود فى البيوع باب اجتناب الشبهات .

(٢) ، (٣) صبح الأعشى حـ ١٣ / ٣ .

(ب) تخول الرعية بالحكمة والموعظة الحسنة وإرشادها إلى المنهج الواضح .

(حـ) إقامة شعائر الدين وترك البدع ، ثم أوضحت الوصية بعد ذلك أن تطيع وتسمع وقد علم الله أنا لم نتحمل أمانة الاسلام لنستكثر من الدنيا وزخرفها ، وإنما كان قصدنا قبل وبعد إقامة الكافة فى أوثر قراها وأوطأ كنفها[٣] . ورجونا أن نتخلص من القسم الأول فى قوله ﷺ : « اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فارفق به »[١] .

٤ ــ إقامة الصلاة فى أوقاتها على أكمل وجه لقوله ﷺ : « أحب الأعمال إلى الله الصلاة ، فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع »[٢] وشهود الصبح والعشاء الآخرة شاهد بتمحيص الايمان ، وقد جاء : « أن شهود الصبح فى جماعة يعدل قيام ليلة » والواجب أن يعتنى بهذه القاعدة الكبرى من قواعد الدين ويؤخذ بها فى كافة الأمصار الصغير والكبير من المسلمين لقوله ﷺ : « مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر سنين »[٣] وعلى معلمى كتاب الله أن يأخذوا الصبيان لتعلم الصلاة والطهارة والادامة لاقامتها وحفظ ما تقام به قال تعالى : « وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها » وقال ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »[٧] .

٨ ــ العناية بأمر أسواق المسلمين :

لأنه قد شاب أكثر المعاملات الفساد وقد حذر الاسلام من الغش وأكل أموال الناس الباطل ، قال ﷺ : « من غشنا فليس منا »[٥] والانتفاء من الايمان من أعظم المصائب ، وإذا أعتبرت فى المبايعات الوجوه الشرعية

(١) مسلم فى الامارة ، باب فضيلة الامام العادل .
(٢) أحمد فى المسند حـ ٦ / ٢٧٥ .
(٣) أبو داود فى الصلاة ، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة .
(٤) البخارى فى كتاب الأحكام ، مسلم فى الامارة ، والآية من سورة الأنبياء .
(١) مسلم فى الايمان باب من غشنا .

ولوحظت الأحكام زكى العمل بالنسبة للتاجر وبورك له فيما يديره من المتاجر[1] .

ثانيا : ما يكتب فى الأوامر والنواهى الدينية :

أوضح القلقشندى فى هذا الضرب عدة أمور منها :

(ا) أن من استحل ما حرم الله وعرف كونه من الدين ضرورة فقد كفر .
وعلى هذا فمن استباح الجمع بين الأختين فقد كفر لقوله تعالى : « وأن تجمعوا بين الأختين إلا ماقد سلف »[2] عطفا على ماحكم بتحريمه وأطلق النص فتعين حمله على تعميمه ، وقد انعقد على ذلك الاجماع وانقطعت على مخالفته الاطماع ، ومخالفة الاجماع حرام ، قال تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا »[3] ومن نكح أختين فى عقدين فليفارق الثانية منهما فإن عقدها هو الباطل ، وإن كانتا فى عقد واحد فليخرجهما معا ولا يماطل فإن عذاب الله شديد .

(ب) نكاح المتعة[4] منسوخ ، وعقده فى نفس الأمر مفسوخ ، ومن ارتكبه بعد علمه بتحريمه فقد خرج عن الدين برفضه الحق وإنكاره ، وفاعله إن لم يتب فهو مقتول وعذره فيما يأتيه من ذلك غير مقبول[5] .

(حـ) سب الصحابة رضوان الله عليهم ، مخالف لما أمر به رسول الله ﷺ من تعظيمهم ، ومن قذف عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها بعد ما برأها الله فقد خالف كتابه العظيم .

أقول : قال الله تعالى : « إن الذين جاءوا بالأفك عصبة منكم

(١) صبح الأعشى حـ ١٣/ ١٠ .
(٢) النساء/ ٢٣ .
(٣) النساء/ ١١٥ .
(٤) نكاح المتعة هو أن يقول الرجل لامرأة خالية من الموانع أتمتع بك مدة عشرة أيام مثلا أو سنة أو غير ذلك بكذا من المال ، وكان هذا النكاح ثابتا فى الشريعة ثم نسخ بعد ذلك .
(٥) صبح الأعشى حـ ١٣/ ١٨ — ١٩ .

لاتحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل إمرىء منهم ما اكتسب من الأثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا أفك مبين »[١] .

٥ ـ إذا أحكم المؤمنون درس الصلاة والطهارة انتقلوا إلى درس الجهاد وعمروا الإناء بتعرف ما أعد الله للمجاهدين من الخير ، قال تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة »[٢] ، وقال ﷺ فى تفسير هذه الآية : « إلا أن القوة الرمى »[٣] قالها ثلاثا . وقال ﷺ : « من ترك الرمى بعد ما علمه رغبة عنه فإنها نعمة تركها أو قال كفرها »[٤] ، وقال أيضا : « من رمى بسهم فى سبيل الله فبلغ العدو أو لم يبلغ كان له كعتق رقبة »[٥] .

٦ ـ تعهد الضعفاء والفقراء بالصدقات ، ووضع الصدقات فى أهل التعفف الذين لا يسألون الناس الحافا[٥] ، قال ﷺ : « ليس المسكين بهذا الطواف الذى يطوف على الناس فترده التمرة والتمرتان ، وإنما المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس »[٦] .

٧ ـ **الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر** : وهى وظيفة تعينت إقامتها على المسلمين جميعا ، ويجب أخذ الحق من كل من تعين عليه سواء فى ذلك القوى والضعيف والشريف والوضيع ، فقد قال ﷺ : « إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم

---

(٨) النور / ١١ ـ ١٣ .

(٢) الأنفال / ٦٠ .

(٣) مسلم فى الامارة باب فضل الرمى ، أبو داود فى الجهاد ، باب فيمن يغزو ويلتمس الدنيا .

(٤) مسلم فى الامارة ، باب فضل الرمى .

(٥) أبو داود فى العتق ، باب أى الرقاب أفضل ، الترمذى فى الجهاد ، باب ماجاء فى فضل الرمى .

(٥) اقتباس من سورة البقرة ـ ٢٧٣ .

(٦) البخارى فى الزكاة ، باب قول الله تعالى « لا يسألون الناس الحافا » ، مسلم فى الزكاة باب المسكين الذى لا يجد غنى ، ولا يفطن له فيتصدق عليه ـ صبح الأعشى حـ ١٣ / ٧ .

الضعيف أقاموا عليه الحد والذى نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها »[١] .

ثم عليكم أجمعين بالتواصى بالخير والتعاون على البر والتقوى ، قال تعالى : « ولا تعاونوا على الأثم والعدوان »[٢] وقال ﷺ : « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تجسسوا وكونوا عباد الله أخوانا »[٣] .

وحذر الله عز وجل مرضى النفوس الذين يعملون على الصاق التهم الباطلة بالأبرياء ، حذرهم بقوله : « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة »[٤] ، وأوضح لنا رسول الله ﷺ أن من يرتكب الفاحشة ويعلنها فإنه يستحق العقاب الشديد — يقول ﷺ : « كل أمتى مُعافى إلا المجاهرين ، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله تعالى فيقول يافلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه »[٥] .

٨ — النهى عن قراءة كتب الفلسفة ، حيث جاء فى تلك الوصية « ومن أشد ما حذر منه وأكد النهى عنه » ، كتب الفلسفة لعن الله واضعها ، فإنهم بنوها على الكفر والتعطيل ، وأخلوها من البرهان والدليل ، وعدلوا بها ضلالا وإضلالا عن سواء السبيل وجعلوها تكاة لعقائدهم ومقاصدهم المخيلة ركونا إلى الباطل وتمسكا بالمستحيل . وعلينا التمسك

(١) البخارى فى الحدود ، باب إقامة الحد على الشريف والوضيع ، باب كراهية الشفاعة فى الحد ، مسلم فى الحدود ، باب قطع السارق الشريف وغيره .

(٢) سورة المائدة/ ٢ .

(٣) البخارى فى الأدب ، باب ماينهى عنه عن التحاسد والتدابر ، مسلم فى البر والصلة ، باب تحريم التحاسد .

(٤) النور/ ١٩ .

(٥) البخارى فى الأدب ، باب ستر المؤمن على نفسه ، مسلم فى الزهد ، باب النهى عن هتك الانسان ستر نفسه وروى الحديث بلفظ « إلا المجاهرون » بالرفع ، وأجاز الكوفيون الرفع فى الاستثناء المنقطع ، وقال ابن مالك : « إلا » على هذا بمعنى لكن . وصوابه عند البصريين النصب .

بالكتاب والسنة ، وقد قال ﷺ « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتى »[1] وبحسب العاقل كتاب الله وسنة الرسول ﷺ[2] .

أقول : إن هذه النظرة من القلقشندى محل بحث ونظر ، ولنا أن نتساءل هل الاشتغال بالفلسفة من الأمور التى يبيحها الشرع ، أو يحرمها ، أو يأمر بها ؟

وللإجابة عن ذلك نقول : أنه إذا كان المراد بالفلسفة هو دراسة الموجودات واتخاذها دليلا على صانعها وخالقها ، لأن زيادة العلم بدقة الصنعة تدل على معرفة أدق بالصانع ، فمما لا ريب فيه عقلا أن كان دين ينبغى له أن يدعو العقل إلى جواره ، فيجعله خير أعوانه وإذا نحن نظرنا إلى الدين الاسلامى وجدنا أن القرآن الكريم لم يدع الناس إلى دراسة الكائنات فحسب ، بل حث على هذه الدراسة ، وهو يحتوى على كثير من الآيات التى تحض على التدبر والتفكير من مثل قوله تعالى « فاعتبروا ياأولى الأبصار »[3] وقوله تعالى « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء »[4] وقوله تعالى « أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت »[5] وقوله « صنع الله الذى أتقن كل شىء »[6] وقوله عز وجل « وما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فأرجع البصر هل ترى من فطور »[7] ، وقوله « ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ، وجعل القمر فيهن نورا وجعل

---

(١) الموطأ فى القدر ، باب النهى عن القول بالقدر بلاغا : لكن يشهد له الحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما الذى أخرجه الحاكم فى المستدرك بسند حسن فتقوى به حـ ١ / ٦٣ ، الترمذى فى المناقب ، باب / ٧٧ .

(٢) صبح الأعشى حـ ١٣ / ٩ .

(٣) الحشر / ٢ .

(٤) الأعراف / ١٨٥ .

(٥) الغاشية / ١٧ ـــ ١٨ .

(٦) النمل / ٨٨ .

(٧) الملك / ٣ .

الشمس سراجا والله أنبتكم من الأرض »[١] ولو ذهبنا نتتبع كل الآيات القرآنية التى تشير إلى مثل هذا المعنى لوجدنا عددا كبيرا لا يكاد يدخل تحت حصر ، وما يدل على أن الاشتغال بالفلسفة ليس محظورا ، بل ان الاشتغال بها أمر يوجبه الدين على من يستطيع النهوض به[٢] .

---

(٨) نوح/١٥ ــ ١٧ .

(٢) ابن رشد وفلسفته الدينية . د . محمود قاسم/٦٧ .

الخاتمة

يعتبر كتاب « صبح الأعشى فى صناعة الإنشا » من عيون التراث العربى وقد حاولت القيام بجمع ما يتصل بثقافة كاتب الإنشاء من الناحية الإسلامية ، ووضعت له عنوانا هو « الثقافة الإسلامية لكاتب الإنشاء كما تبدو فى صبح الأعشى » . وقد قمت بتوثيق النصوص الفقهية والأحاديث النبوية الشريفة التى أوردها القلقشندى . وتتلخص تلك الثقافة فيما يلى :

أولا :

بيان فضل الكتابة والسبب فى تحريمها على النبى ﷺ وهل كان ﷺ بعد النبوة يقرأ ويكتب أو لا ؟

ورأينا أن الأمية بالنسبة لرسول الله ﷺ تعتبر فضيلة ، لقوله تعالى : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون » العنكبوت/٤٨ .

واختلف فى أنه ﷺ هل كان بعد النبوة يقرأ ويكتب أو لا ؟ فأكثر المسلمين على أنه ﷺ لم يكتب قط ، ولم يقرأ بالنظر فى كتاب ..

وادعى بعضهم أنه ﷺ صار يعلم الكتابة بعد أن كان لا يعلمها وقالوا : مامات النبى ﷺ حتى كتب وقرأ . ورأوا أن ذلك غير قادح فى كونه أميا ، بل رأوه زيادة فى معجزاته ، وذلك لأنه كتب من غير تعلم للكتابة ولا تعاط لأسبابها .

وعلى أية حال فإنه كان يقرأ بإلهام من الله تعالى ، وذلك كما أخبرته الشاه أنها مسمومة .

ثانيا : طريقة الكتابة :

١ ــ يجب أن يبدأ الكاتب بالبسملة الشريفة لأن كل عمل ذى بال لا يبدأ

باسم الله فهو أبتر . « ثم أشرت إلى أصل الافتتاح بالبسملة ، وأنه يجب تحسينها لأن » من كتب : بسم الله الرحمن الرحيم « فحسنه أحسن الله إليه » . كما يجب تقدمها فى الكتابة تبركا بالابتداء وتيمنا بذكر الله .

وإصطلح الكتاب فى الكتب الصادرة من ملوك الإسلام إلى ملوك الكفر بكتابة ألقاب الملك المكتوب عنه فى وصل فوق البسملة تأسيا بسليمان عليه السلام « وإنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم » النمل/ ٣٠ . وقال بعض المفسرين : إنه قوله : « إنه من سليمان » من كلام بلقيس وأنها حكت الكتاب بقولها : إنه بسم الله الرحمن الرحيم ، فيكون إبتداء الكتاب « بسم الله الرحمن الرحيم » ويكون ذلك إحتجاجا على وجوب تقديمها .

٢ ـ وبعد ذلك يأتى بالحمد طلبا للتيمن والتبرك وتأسيسا بكتاب الله تعالى من حيث إن البسملة آية من الفاتحة كما هو مذهب الشافعى رضى الله عنه ـ وقد أوردنا أدلة الشافعى رضى الله عنه فى الهامش ـ وإن لم تكن منها كما هو مذهب غيره ـ ورددنا على ذلك أيضا مع توثيق النصوص وتأصيلها .

٣ ـ ثم يأتى بعد ذلك التشهد ، لأن « كل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجزماء » .

٤ ـ ثم يأتى بالصلاة على النبى ﷺ ، لأنه إذا أتى بالحمد فى أول الكتاب ناسب أن يأتى بالصلاة على النبى ﷺ فى أوله إتيانا بذكره بعد ذكر الله تعالى ، لأن الله تعالى قال « ورفعنا لك ذكرك » .
الانشراح/ ٤ ومعنى الآية : ما ذكرت إلا وذكرت معى .

٥ ـ ويلى ذلك تحية الكاتب بالسلام ويقول فى أول الكتاب « سلام عليك » وفى آخره « السلام عليم » ويكره أن يقول فى الابتداء « عليك السلام » لقول الرسول ﷺ « ياأبا معكث عليك السلام تحية الموتى » .

٦ ــ ويأتى بعد ذلك بـ « أما بعد » وبه فسر فصل الخطاب فى قوله تعالى « وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب » ص/٢٠ .

٧ ــ الدعاء « لأن النبى ﷺ أمر المسلمين أن يكونوا إخوانا ، ومن أخوتهم تود بعضهم بعضا وكذلك القول بما يؤكد الأخوة » .

٨ ــ يستحب للكاتب عند إنتهاء ما يكتبه أن يكتب « إن شاء الله » تبركا ورغبة فى نجاح مقصده لقوله تعالى « ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله » الكهف/٢٣ ــ ٢٤ .

ثانيا : بعض ما يحتاج إليه كاتب الإنشاء من الثقافة الإسلامية :

١ ــ حفظ كتاب الله العزيز ، ليكون معينا له قصده ، وليدرك بلاغة القرآن الكريم وسر إعجازه .

٢ ــ حفظ السنة النبوية الشريفة ، لأن الصدر الأول من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم كانوا يحتجون بالحديث الشريف ويستدلون به فى مواطن الخلاف والنزاع ، فينقاد الجموح ويستهل الصعب . كما ينبغى للكاتب أن يحفظ الأحاديث المتعلقة بالفقه وأحكامه بل أن حاجة الكاتب لا تختص بأحاديث الأحكام ومسائل الفقه ، بل تتعلق بما هو أعم من ذلك خصوصا الحكم والأمثال والسير وما أشبه ذلك مما يكثر الاستشهاد به فى الكتابة والاقتباس من معانيه .

٣ ــ معرفة حكم بعض الآلات مثل : النرد والشطرنج والمسكرات وآلاتها والخمر وآراء الفقهاء فيها ، والحشيشة .

٤ ــ معرفة الأيمان وأنواعها ، والأصول التى يتعين على الكاتب معرفتها قبل الخوض فى الأيمان ، وشمل ذلك :

ــ الأقسام التى أقسم بها الله تعالى فى كتابه العزيز .

ــ مبنى الأيمان على الحلف بما يعظمه الحالف ، ويتحرز من الحنث عند الحلف به .

والأقسام الشرعية ، والمرجوع فيه إلى صيغة الحلف ، وما يحلف به :
فأما صيغة الحلف فتنقسم إلى قسمين : صريح وكناية .. الخ .
وأما ما يحلف به فهو على أربعة أصناف :
* اسم الله تعالى الذى لا يشاركه فيه غيره وهو : « الله ــ الرحمن » .
* اسم الله تعالى الذى يسمى به غيره على سبيل المجاز وعند الإطلاق ينصرف إليه تعالى كالرحيم والعليم .
* ما يستعمل فى أسماء الله تعالى مع مشاركة غيره له فيه كالموجود والحى .

* ثم اليمين الشرعية التى يحلف بها الحكام ، إن كان مسلما أحلف بالله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة . وإن كان يهوديا أحلف بالله الذى أنزل التوراة على موسى عليه السلام . وإن كان نصرانياً أحلف بالله الذى أنزل الانجيل على عيسى بن مريم عليه السلام .
* اليمين الغموس : وهى أن يكون الحالف فى خبره كاذبا متعمدا وسميت بذلك لأنها تغمس صاحبها فى الإثم وهى من أعظم الكبائر ويجب الابتعاد عنها .
* لغو اليمين : وهو ما وقع من غير قصد ماضيا كان أو مستقبلا كقوله لا والله وبلا والله .

٥ ــ معرفة حكم الأمان ، والدليل على مشروعيته من الكتاب والسنة . فإذا طلب الأمان أى فرد من الأعداء من المحاربين قبل منه ، وصار بذلك آمنا لا يجوز الاعتداء عليه بأى وجه من الوجوه لقوله تعالى : « وإن أحد من المشركين أستجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه » التوبة/٦ ولقول النبى ﷺ : « قد أجرنا من أجرت ياأم هانىء » و« المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويجير أدناهم وهم يد على من سواهم » .
٦ ــ الإلمام بالعهود والوفاء بها ، والدليل على مشروعيتها من الكتاب والسنة ، وتحليل العهد الذى كتبه النبى ﷺ لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن .

٧ ــ معرفة حكم الاقطاعات وأصل مشروعيتها وأنها تنقسم إلى قسمين : إقطاع التمليك وإقطاع الاستغلال وبيان حكم كل نوع منها .

٨ ــ الوصايا الدينية ، وقسمها القلقشندى إلى قسمين : أولا : فيما لقدماء الكتاب من ذلك وأوردت نسخة من تلك الوصايا وهي لأحد كتاب الأندلس والتى اشتملت على عدة أمور :

ا ــ إفتتاح الوصية بحمد الله ، والصلاة على رسول الله ﷺ ، وتحدث فيها عن أمرين : الأول : الإشارة إلى أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يعتبران من أهم الأسس التى تتفرع عنهما مصالح الدنيا والدين .

الثانى : اتقاء الشبهات لأن « من اتقى الشبهات استبرأ لدينه » .

ب ــ تقوى الله عز وجل ..

حـ ــ كما أوضحت الوصية حق الحاكم تجاه الرعية وأنه يجب عليه عدة أمور هى :

ــ استيفاء كل نظر يعود على الأمة باستقامة آخراها وأولاها .

ــ تخول الرعية بالحكمة والموعظة الحسنة وإرشادها إلى المنهج الواضح .

ــ إقامة شعائر الدين وترك البدع .

ــ العناية بأمر أسواق المسلمين .

ثانيا : ما يكتب فى الأوامر والنواهى الدينية : وشمل ذلك ما يأتى :

١ ــ أن من استحل ما حرم الله وعرف كونه معلوما من الدين بالضرورة فقد كفر .

٢ ــ نكاح المتعة منسوخ .

٣ ــ سب الصحابة رضوان الله عليهم مخالف لما أمر به رسول الله ﷺ من تعظيمهم ، ومن قذف عائشة رضى الله عنها بعد ما أبرأها الله فقد خالف كتابه العظيم .

٤ ــ إحكام درس الصلاة والطهارة ثم الانتقال إلى درس الجهاد .

٥ ـــ تعهد الضعفاء والفقراء بالصدقات .

٦ ـــ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهى وظيفة تعينت إقامتها على المسلمين جميعا .

٧ ـــ النهى عن قراءة كتب الفلسفة .. وخالفت القلقشندى فى ذلك ، وقلت متسائلا هل الأشتغال بالفلسفة من الأمور التى يبيحها الشرع أو يحرمها أو يأمر بها ؟ وللإجابة عن ذلك نقول : إنه إذا كان المراد بالفلسفة هو دراسة الموجودات وأتخاذها دليلا على صانعها وخالقها ، لأن زيادة العلم بدقة الصنع تدل على معرفة أدق للصانع فمما لا ريب فيه عقلا أن كل دين ينبغى له أن يدعو العقل إلى جواره ، فيجعله خير أعوانه ، وإذا نحن نظرنا إلى الدين الإسلامى وجدنا أن القرآن الكريم لم يدع الناس إلى دراسة الكائنات فحسب ، بل حث على هذه الدراسة ، وهو يحتوى على كثير من الآيات التى تحض على التدبر والتفكير .. مما يدل على أن الاشتغال بالفلسفة ليس محظورا ، بل إن الأشتغال بها أمر يوجبه الدين على من يستطيع النهوض به .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

فهرس المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولا : كتب أحكام القرآن الكريم وعلومه

١ ــ أقسام القرآن .

٢ ــ روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى .
لأبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى ت ١٢٧٠ هـ
دار التراث العربى ببيروت .

٣ ــ الجامع لأحكام القرآن .
لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى ت ٦٧١ هـ
دار الكتاب العربى ١٣٨٧ هـ ــ ١٩٦٧ م .

٤ ــ الدار المنثور فى التفسير بالمأثور .
لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيرى السيوطى ، الإمام ، الحافظ ، المؤرخ ، الأديب الشافعى ت ٩١١ هـ . دار المعرفة لبنان .

٥ ــ الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان .
تأليف الإمام شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر بن أيوب الزرعى المعروف بابن القيم إمام الحوزية ت ٧٥١ هـ .

ثانيا : الحديث النبوى الشريف وشروحه :

٦ ــ إحياء علوم الدين .
تصنيف الإمام أبى حامد محمد الغزالى ت ٥٠٥ هـ . المكتبة التجارية .

٧ ــ اتحاف السادة المتقين .
بشرح إخياء علوم الدين ــ تصنيف السيد محمد بن محمد الحسين الزبيدى .

٨ ــ سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام .

للشيخ الإمام محمد بن إسماعيل الأمير اليمنى الصفانى ت ١١٨٢ هـ .
تحقيق وتعليق/ محمد عبد العزيز الخولى .

٩ ــ سنن الدارقطنى .
للإمام الكبير على بن عمر الدارقطنى . تصحيح وتعليق السيد عبد الله هاشم يمانى ١٣٨٦ هـ ــ ١٩٦٦ م .

١٠ــ سنن أبى داود السجستانى .
للإمام الحافظ ، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزرى السجستانى . تعليق الشيخ أحمد مسعد على الطبعة الأولى ١٣٧١ هـ ــ ١٩٥٢ م الحلبى .

١١ــ سنن النسائى .
للحافظ ، أبى عبد الرحمن بن شعيب النسائى ، الحلبى ، ١٣٨٣ هـ ١٩٦٤ م .

١٢ــ سنن إبن ماجه .
للحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه ٢٠٧ هـ ــ ٢٧٥ هـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .

١٣ــ السنن الكبرى .
للحافظ أبى بكر أحمد بن الحسن البيهقى ت ثمان وخمسين وأربعمائة ، طبعة دائرة المعارف بالهند ، الطبعة الأولى ١٣٤٤ هـ .

١٤ــ شرح معانى الآثار .
للامام أبى جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمه الأزدى الطحاوى المصرى ، الحنفى ٢٢٩ هـ ــ ٣٢١ هـ .
تحقيق/ محمد سيد جاد ، طبعة سنة ١٣٨٧ هـ ــ ١٩٦٨ م .

١٥ــ صحيح البخارى .
لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزيه البخارى الجعفى ، ت ٢٥٦ هـ . طبعة الشعب .

١٦ـ صحيح مسلم .
للإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى ت بنيسابور سنة إحدى وستين ومائتين بشرح النووى ، المطبعة المصرية .
١٧ـ فتح البارى بشرح صحيح البخارى .
للحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى ، رقم كتبه ، وأبوابه محمد فؤاد عبد الباقى ، القاهرة ١٣٨٠ هـ .
١٨ـ الفوائد الموضوعة فى الأحاديث الموضوعة .
تأليف الشيخ مرعى بن يوسف المقدسى .
١٩ـ كشف الخفاء ومزيل الألباس عما أشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس .
للشيخ إسماعيل العجلونى . تصحيح أحمد القلاش مكتبة التراث الإسلامى بحلب .
٢٠ـ كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال .
للعلامة علاء الدين على المتقى بن حسام الدين الهندى ، تحقيق الشيخ بكرى حيالى . وصححه ووضع فهارسه الشيخ صفوة السقا ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٦٩ م .
٢١ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد .
للهيثمى ، الحافظ ، نور الدين ، على بن أبى بكر الهيثمى ت ٨٠٧ هـ . بتحرير الحافظين الجليلين : القرافى ، وابن حجر ، طبعة ١٣٥٢ هـ مكتبة القدس ، القاهرة باب الخلق .
٢٢ـ المستدرك على الصحيحين فى الحديث
للحافظ أبى عبد الله بن عبد الله المعروف بالحاكم ، دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .
٢٣ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل وبها مشه كنز العمال طبعة بيروت .

٢٤ـ المسند للإمام أحمد بن حنبل .
شرح وتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٥٠ م .

٢٥ـ المعجم الكبير للطبرانى .
الحافظ أبو القاسم سليمان بن حماد بن أيوب الطبرانى
تحقيق محمد عبد المجيد السلفى ، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ .

٢٦ـ نصب الراية .
للإمام الحافظ جمال الدين أبى محمد عبد الله بن يوسف الزيلعى ٧٦٢م الطبعة الأولى ، مطبعة دار مأمون ، مصر ١٣٥٧ هـ ـ ١٩٣٨ م .

الفقه وأصوله :

المذهب الحنفى :

٢٧ـ أصول السرخسى .
للإمام الفقيه الأصولى أبن بكر محمد بن أحمد بن أبى سهل السرخسى ت ٤٩٠ هـ . تحقيق أبو الوفا الأفغانى . لجنة إحياء المعارف بالهند ١٣٧٢ هـ .

٢٨ـ الخراج .
لأبى يوسف يعقوب بن إبراهيم صاحب الإمام أبى حنيفة ١١٣ ـ ١٨٢ م الطبعة الرابعة ١٣٩٢ هـ ، المطبعة السلفية .

٢٩ـ فتح القدير .
لكمال الدين محمد البواسى ، ثم السكندرى ، المشهور بابن الهمام ، الحلبى ، الطبعة الأولى ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٧٠ م .

المذهب الشافعى :

٣٠ـ الأحكام السلطانية والولايات الدينية .
تأليف أبى الحسين ، على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى الماوردى ت ٤٥٠ هـ ، الطبعة الثالثة ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م .

٣١ـ بيحيرمى على الخطيب ، حاشية خاتمة المحققين الشيخ سليمان البيحرمى المسماة بتحفة الحبيب على شرح الخطيب المعروف بالإقناع فى حل ألفاظ أبى شجاع ١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥١ مـ الحلبى .

٣٢ـ كفاية الأخبار فى حل غاية الاختصار .
تأليف الإمام تقى الدين أبى بكر بن محمد الحسينى الحصنى الدمشقى الشافعى من علماء القرن التاسع الهجرى . الحلبى ، بدون تاريخ .

٣٣ـ المجموع شرح المهذب للشيرازى .
تحقيق الشيخ محمد نجيب المطيعى . مطبعة الإرشاد بجدة .

المذهب الحنبلى :

٣٤ـ المغنى .
تأليف شيخ الإسلام أبى محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة ، طبعة ابن تيمية . وطبعة أخرى سنه ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ مـ .

كتب الفقه العام والبحوث الإسلامية والتراجم :

٣٥ـ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية
للرافعى .

٣٦ـ شذرات الذهب فى أخبار من ذهب .
لأبى العلاج عبد الحى بن العماد الحنبلى ، ت ١٠٨٩ ، المكتب التجارى بيروت .

٣٧ـ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة .
لجمال الدين ، أبى الحسين ، يوسف بن تفرى بردى ٨١٣ هـ ـ ٨٧٤ هـ مطبعة الأستقامة ١٣٤٨ هـ ـ ١٩٢٩ مـ وطبعة دار الكتب ١٣٤٩ هـ ـ ١٩٣٠ مـ .

٣٨ـ صبح الأعشى فى صناعة الإنشا .
للقلقشندى ، أبو العباس أحمد ، نشر دار الكتب المصرية طبعة المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٣١ هـ ـ ١٩١٣ مـ .

٣٩ــ ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر ، مختصر صبح الأعشى ، كلاهما للقلقشندى طبعة ١٣٢٤ هــ ١٩٠٦ مـ .
٤٠ــ الطبقات الكبرى لابن سعد ، المؤرخ محمد بن مسعد ، طبعة الشعب .

فهرس الآيات القرآنية الكريمة
مرتبا على حسب السور

الآيـــة	رقمها	رقم الصفحة
٢ ــ البقرة		
وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ..	٢٣ ــ ٢٤	
وقلنا للملائكة اسجدوا لآدم	٣٤	٣٣
فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم	١٣٧	٥٣
وما يذكر إلا أولوا الألباب	٢٦٩	٤٧
٣ ــ آل عمران		
رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محررا	٣٥	٥٦
قُلْ يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم	٦٤	٣٨
٤ ــ النســاء		
وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف .	٢٣	٩٣
ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهُنَّ ولد .	١٢	٤٩
إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا .	١٠٣	٨٥
ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين .	١١٥	٩٣
لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه	١١٦	
٥ ــ المائــدة		
ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود	١	٨٥
ولا تعاونوا على الإثم والعدوان	٢	
ياأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة ..	٦	٨٥
لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم	٨٩	٨١
إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس		

الآيــــة	رقمها	رقم الصفحة
تبيانا لكل شيء .	٨٩	٣٧
ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها .	٩١	٨١و٨٣
وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة .	١١٢	١١٢
إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون	١٣٨	٣٥
١٧ ـــ الإســــراء		
قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً .	٨٨	٣٨
١٨ ـــ الكهــف		
ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله .	٢٣ ـــ ٢٤	
١٩ ـــ مريــــم		
وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا .	١٥	٢٩
فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا .	٦٥	٧٨
٢٠ ـــ طــــه		
ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي .	١١٥	٨٤
٢١ ـــ الأنبيـــاء		
وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين .	٥٧	٧٧
وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين .	١٢٧	٤٠
٢٢ ـــ الحـــج		
ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه .	٦٥	

الآيـــة	رقمها	رقم الصفحة
٣٣ ـ الأحـــزاب		
ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه .	٤	٥٦
ودع أذاهم .	٤٨	٤٦
إن ذلكم كان يؤذى النبى .	٥٣	٥٧
يأأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما		
٣٥ ـ فاطـــر		
وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم .	٣٨	٧٦
٣٦ ـ يــس		
يس والقرآن الحكيم .	١	٧٥
وما علمناه الشعر .	٦٩	
٣٧ ـ الصافات		
والصافات صفا ..	١ ـ ٣	٧٤
ويقذفون من كل جانب دحورا	٨ ـ ٩	
أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين	١٢٥	
٣٨ ـ ص		
ص والقرآن ذى الذكر	١	٧٥
وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب	٢٠	٣١
إن هذا وأخى له تسع وتسعون نعجة	٢٣	٥٧
٣٩ ـ الزمـــر		
قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون	٩	٤٢
٤١ ـ فصـــلت		
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .	٤٢	١٨

فهرس الأحاديث

الأحاديث القدسية

الأحاديث النبوية والآثار

فهرس الشواهد الشعرية

١ ـــ وما مثله فى الناس إلا مملكا   أبو أمه حى أبوه يقاربه

[الطويل] صـ ٥٨

٢ ـــ سأطلب بُعْدَ الدَّارِ عنكم لتقرُبُوا   وتسكُبُ عيناى الدُّموعَ لتجمدا

[الطويل] صـ ٥٩

٣ ـــ وثم ودعنا آل عمرو وعامر   فرائس أطراف المثقفة السمر

[الطويل] صـ ٥٤

٤ ـــ ما أنت إلا مثل سائر   يعرفه الجاهل والخابـــر

[الرجز] صـ ٤١

٥ ـــ أَثْروا فلم يُدْخلوا قبورهم   شيئا من الثروة التى جمعوا

وكان ما قدموا لأنفسهم   أعظم نفعا من الذى ودعوا

[المنسرح] صـ ٤٦

٦ ـــ سل أميرى ما الذى غيره   عن وصالى اليوم حتى ودعه

[الرمل] صـ ٥٤

٧ ـــ كانوا برود زمانهم فتصدعوا   فكأنما لبس الزمان الصوفا

[التكامل] صـ ٤٩

٨ ـــ يَظَلُّ بموماةٍ ويمسى بقبرها   جحيشا ويَعْرَوْرَىْ ظهور المسالك

[الطويل] صـ ٤٥

٩ ـــ غدائره مستشزرات إلى العلا   تضل المدارى فى مثنى ومرسل

[الطويل]

١٠ـــ مِنْ عَزِّهِ احتجرت كُلَيْبٌ عنده   زَرْباً كأَنَّهُمُ لديه الغُمَّلَ

[الكامل] صـ ٥٧

١١ـــ جزى ربه عنى عدى بن حاتم   جزاء الكلاب العاديات وقد فعل

[الطويل] صـ ٥٨

١٢ـــ تلذ له المروءة وهى تؤذى   ومن يعشق يلذ له الغرام

[الوافر]

١٣ـ إن العُيون التى فى طرفها حَوَرٌ قتلننا ثم لم يُحيين قتلانا

يصرعن ذا اللُبِّ حتى لاحراك به وهُنَّ أضعف خلق الله أركانا

[البسيط] صـ ٤٨

الفهـــرس

رقم الايداع ٨٨/٧٢١٩
الترقيم الدولى ٠ ـ ٤٤٨ ـ ١٠٣ ـ ٩٧٧